هداية الناس وقضاء حوائجهم

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة

الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته ﷾ بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]. الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[2].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧ -١٨.

الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

من أهم الواجبات

إن هداية الناس إلى الصراط المستقيم من أهم الواجبات التي فرضها الله عزوجل، فيلزم على كل أحد أن يسعى بمقدار وسعه في هداية المنحرفين عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أهل البيت عليهم السلام إلى الدين الصحيح والمذهب الحق.

وخاصة على الحوزات العلمية أن تبرمج للهداية حسب التخصصات العلمية، فمجموعة لهداية الملحدين، ومجموعة لهداية الكفار والمشركين من اليهود والنصارى وغيرهم، ومجموعة لهداية أبناء العامة وهكذا، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان محاسن طريق الحق، ومساوئ طريق الباطل.

كما قال الإمام الرضا عليه السلام: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا ... يتعلم علومنا ويُعلّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا

لاتبعونا»[1].

والقرآن الكريم والسنة الشريفة والسيرة المطهرة المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والآل عليهم السلام خير دليل على لزوم الهداية، وأساليبها الصحيحة.

عقيدة التثليث

هناك آيات كريمة تتعرض لعقيدة التثليث وتعالجها بأسلوب علمي دقيق. قال الله تعالى: ﴿لن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً﴾[2].

في معرض بيان معنى الآية الشريفة، علينا أن نذكر الآية التي سبقتها، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لـه وَلَدٌ لـه مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾[3].

لقد توجه السياق إلى أهل الكتاب، ويراد بهم هنا النصارى، قال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ الغلو: هو مجاوزة الحد والارتفاع، ومنه: غلا في دينه، أي: تجاوز الحد إلى الارتفاع، فقد كان

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٩٢ ب٨ ح٣٣٢٩٧.

(٢) سورة النساء: ١٧٢.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

المسيحيون يقولون بتعدد الآلهة: الأب والابن وروح القدس، ويريدون بالأول: الله، وبالثاني المسيح عليه السلام، وبالثالث جبرائيل عليه السلام ﴿وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ﴾ أي: لا تفتروا على الله بأن تقولوا: إن الله أمرنا بعبادة آلهة ثلاثة، أو المعنى: لا تقولوا بالنسبة إلى الله ما ينافي عظمته من قولكم إن له شريكاً، ﴿إِلاَّ الْحَقِّ﴾ وهو أنه لا شريك له ولم يأمر إلاّ بذلك ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ﴾ قيل: إنما سمي بالمسيح؛ لأنه كان يمسح الأرض ويسيح في البلاد، و(عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) بيان لقوله (الْمَسِيحُ) يعني: إنه ابن مريم، لا أنه ابن الله، و(رسول الله) خبر لقوله (المسيح) ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي: كلمة الله، وهذا تشبيه، فكما أن المتكلم إذا قال القول، حدث منه في الخارج شبه إلقاء، كذلك الله سبحانه يُلقي الأشياء إلى الخارج فهي كلماته، ولذا يقال للمخلوقات: كلمات الله، و(إِنَّمَا) هنا للحصر الإضافي مقابل البنوة والألوهية.

﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: أوجدها في رحمها الطاهر بدون زواج واقتراب من رجل ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ سبحانه و(الروح) هي القوة ـ الطاقة ـ التي تتحرك وتُحرك، فعيسى عليه السلام روح من قبل الله سبحانه، ولذا يقال له: روح الله، ومن المعلوم أن الإضافة تشريفية نحو: بيت الله. أي روح خلقها الله تعالى.

﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ إيماناً صحيحاً بالإذعان لوحدته، وأنه

لاشريك له ولا ولد، وأن المسيح رسولٌ كريم ﴿وَلاَ تَقُولُواْ﴾ أيها النصارى أن الإله ﴿ثَلاَثَةٌ﴾ أب وابن وروح القدس ﴿انتَهُواْ﴾ عن هذا الكلام البشع، وائتوا ﴿خَيْراً لَّكُمْ﴾ في دنياكم وآخرتكم من التوحيد والتنزيه ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له، فليس المسيح عليه السلام شريكاً له في الألوهية، فإن من كان له شريك لا يصلح أن يكون إلهاً؛ إذ الشركة تلازم التركيب، والتركيب يلازم الحدوث، فإن كل مركَّب لابدّ له من مركِّب وأجزاء سابقة ـ ولو رتبةً ـ وما سبقه غيره ليس بإله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي أُسبّحه سبحانه، بمعنى: أُنزهه تنزيهاً ﴿أَن يَكُونَ له وَلَدٌ﴾ كما قال المسيحيون من أن المسيح ابن الله، فإنه لو أريد بالولد المعنى المتعارف مما يستلزم الولادة، فإن ذلك من صفات الممكن لا من صفات الإله؛ إذ لا يعتري الإله التغيير، وإلا كان حادثاً، ولو أريد المعنى التشريفي كما يقول الشخص الكبير لبعض الناس ـ إذا أراد تشريفهم ـ : فلان ولدي، فإن ذلك لا يجوز بالنسبة إلى الله سبحانه؛ إذ شؤونه كلها توقيفية، فقد أذن أن يقال: فلان خليله، ولم يأذن أن يقال: ابنه أو ولده. والمراد بالآية هو المعنى الأول.

﴿لَهُ﴾ أي لله تعالى ﴿مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ومن يكون كل شيء ملكه لا يمكن أن يكون شيء ولداً له؛ إذ الولد من جنس الوالد، وليس لله نظير ولا شبيه ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في نفاذ أمره، وهو وعيد للقائلين بالتثليث.

ثم ذكر سبحانه أن المسيح عليه السلام هو بنفسه يعترف بأنه عبد الله، فلِمَ يقول هؤلاء بأنه ابن الله أو شريك الله؟

﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ﴾ أي لن يأنف عيسى عليه السلام ﴿أن يَكُونَ عَبْداً للهِ﴾ بل اعترف هو عليه السلام حين ولادته بذلك (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً)[1]، ﴿وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الذين قربهم سبحانه من ساحة لطفه. ولعل هذا إشارة إلى رد من زعم أنهم أولاد الله كما حكى سبحانه بقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً)[2] ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ﴾ يأنف ويمتنع ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ فيرى نفسه أكبر وأعظم من أن يعترف لله بالعبودية ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً﴾ الحشر هو الجمع، أي: يجمعهم يوم القيامة جميعاً ليُجازيهم باستكبارهم. و(إِلَيهِ) ليس للمكان لأنه سبحانه منزّه عنه، بل المراد: المحل المُعدّ لقضائه وجزائه[3].

وروي أن وفد نجران قالوا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم: «يا محمد، لم تعيب صاحبنا؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ومن صاحبكم؟».

قالوا: عيسى عليه السلام. قال: «وأي شيء أقول فيه؟».

---

(١) سورة مريم: ٣٠.

(٢) سورة الزخرف: ١٩.

(٣) راجع تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): ج٦ ص٢٨ سورة النساء.

قالوا: تقول: «إنه عبد الله ورسوله». فنزلت الآية[1].

نعم، هكذا يعتقد المسيحيون بالتثليث، وإن للكون ثلاثة آلهة، الله الأب وهو إله السماء، والله الابن، أي: المسيح، والله الأم ـ عند بعضهم ـ ويقصدون بها مريم عليها السلام، لكن معظمهم لا يقول بالرب الأم، بل يعتقدون بأن جبرائيل عليه السلام هو الرب الثالث ويسمونه: روح القدس؛ وبعض المسيحيين عندما يفتتحون الكلام يبدؤون بالبسملة، ولكن بطريقتهم الخاصة حيث يقولون: باسم الرب والابن وروح القدس[2].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٣ ص٢٥٠ سورة النساء.

(٢) ترتكز المسيحية على خمسة أمور هي جوهر العقيدة عندهم، وهم يزعمون أن الخالق الإله له ثلاثة أقانيم، وأن أحد هذه الأقانيم أب، والآخر ابن، والثالث روح القدس، وإن الابن هو الكلمة، والروح هي الحياة، والأب هو القديم الحي المتكلم، وأن هذه الأقانيم الثلاثة متفقة في الجوهرية مختلفة في الأقنومية، وإن الابن لم يزل مولوداً من الأب، والأب والداً للابن، ولم تزل الروح فائضة من الأب والابن.. وهذه الأمور الخمسة هي:

١ـ التثليث: وهو أهم أركان المسيحية (أب، وابن، وروح القدس).

٢ـ ألوهية المسيح: وهي أن عيسى عليه السلام ابن الله نزل ليقدم نفسه قرباناً ويصلي تكفيراً عن خطيئة البشر. وهذه من أعمال بولس منشئ المسيحية.

٣ـ ألوهية روح القدس: وهو الذي حل على مريم العذراء عليها السلام لدى البشارة، وعلى المسيح عليه السلام في العماد، وعلى الرسل بعد صعود المسيح عليه السلام إلى السماء، وأن روح القدس لا يزال موجوداً وهو ينزل على الآباء والقديسين في الكنيسة.

←

وقد نهى القرآن الكريم ـ وكما ذكرنا آنفاً ـ عن التثليث حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَه وَلَدٌ لَه ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَكَفى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ (١).

والآية تصرح بأن المسيح عليه السلام عبد الله تعالى، وليس بإله كما يزعمون، وأن الألوهية لله وحده.

ومما يدل على خطأ عقيدة التثليث: أنه لا معنى لأن يكون الإنسان في مقام الربوبية والعبودية في آن واحد بأن يكون عبداً ويكون إلهاً. وهذا الأمر ظاهر للمتأمل ـ ولو قليلاً ـ حيث إن العقل يرفضه؛ لاستلزامه التناقض المحال عقلاً. مضافاً إلى سائر الأدلة المذكورة في علم الكلام.

وهكذا يخاطب القرآن من قال بأن الملائكة بنات الله، بل هم عباد

→

٤ـ صُلب المسيح عليه السلام للتكفير عن خطيئة البشر.

٥ـ محاسبة المسيح عليه السلام للناس، وأن الأب أعطى سلطان الحساب للابن، ذلك لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته فهو ابن الإنسان، فهو أولى بمحاسبة الإنسان.

للتفصيل ينظر كتاب: (مائة سؤال حول الثالوث)، و(كيف ولماذا أسلموا)؟، و(ماذا في كتب النصارى)؟ للإمام الشيرازي الراحل(أعلى الله مقامه). وكتاب: (الرحلة المدرسية) و(الهدى إلى دين المصطفى)، و(التوحيد والتثليث) للشيخ محمد جواد البلاغي رحمه الله.

(١) سورة النساء: ١٧١.

الله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلاَئِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[2].

فإذا لم يشهدوا خلق الملائكة كيف عرفوا بأنهم إناث؟

وفي آية أخرى: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[3].

وبهذا الأسلوب العلمي الواضح يتضح نفي تلك العقائد الباطلة من كون الملائكة بنات الله، ومن ألوهية المسيح عليه السلام مطلقاً، سواء فرض كونه ولداً، أو أنه ثالث الثلاثة، فإن المسيح عليه السلام بنفسه ينفي ذلك، ويقول إنه عبد الله لا غير، ولن يستنكف عليه السلام أبداً عن عبادته عزوجل، وهذا مما لا ينكره حتى النصارى، وقد صرحت بذلك الأناجيل الدائرة عندهم في أنه كان يعبد الله تعالى. فإذا كان يعبد الله فإنه عبد وليس ربا لأن الرب لا يَعبد بل يُعبد.

ومن هنا جاء في رواية الإمام الرضا عليه السلام عند احتجاجه مع الجاثليق

---

(١) سورة الزخرف: ١٩.

(٢) سورة الصافات: ١٥٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٦ـ٢٨.

كبير النصارى، قال عليه السلام: «يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وما ننقم على عيسى شيئاً إلاّ ضعفه وقلة صيامه وصلاته»!!

قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الإسلام.

قال الرضا عليه السلام: «وكيف ذلك»؟

قال الجاثليق: من قولك إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام والصلاة وما أفطر عيسى يوما قط وما نام بليل قط وما زال صائم الدهر قائم الليل.

قال الرضا عليه السلام: «فلمن كان يصوم ويصلي»؟

فخرس الجاثليق وانقطع[1].

الهداية عبر الأدعية

ثم إن الأئمة الطاهرين عليهم السلام بينوا لنا طرق الهداية وأساليبها ومصاديقها عبر رواياتهم الشريفة وسيرتهم العملية، كان منها تلك الأدعية ذات المضامين العالية التي وردت عنهم، فإنها مدرسة للهداية في مختلف جوانب الحياة، كما هو المشاهد في الصحيفة السجادية وأدعية سائر المعصومين عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠ ص٣٠٣ ب١٩ ح١.

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «كان من دعاء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): إلهي، كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي، أنت لي كما أحب وفقني لما تحب»[1].

وهذا الدعاء يحتوي على كنوز من المعرفة والهداية كما لا يخفى على ذوي البصيرة.

(١) كنز الفوائد: ج١ ص٣٨٦.

الهداية التكوينية والتشريعية

ثم إن الهداية قد تكون تكوينية وقد تكون تشريعية، ومن هنا يكون تسبيح الكون لله عزوجل، أما العبادة لغير الله، وجعل شركاء لله[1]، فهذه من الانحرافات والمشاكل التي تواجه العالم البشري ولا يزال يواجهها المليارات من الناس في مختلف الأماكن من العالم، ويلزم السعي لهداية هؤلاء المنحرفين نحو التوحيد والعبودية لله عزوجل.

نعم في الجانب التكويني كل شيء ساجد لله طوعا أو كرها، كما يقول القرآن العظيم: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[2].

وما يثبت ذلك أكثر هو أن أناجيلهم مشحونة بأن الروح طائع لله ورسوله، وكذلك النبي عيسى عليه السلام حيث كان يطيع الله عزوجل، بالإضافة إلى ذلك فإنها مشتملة على أن المسيح عليه السلام كان يدعو إلى عبادة الله، وأن الله هو الذي بيده زمام أمره، وأن الله هو رب الناس، ولا تتضمن دعوة المسيح عليه السلام إلى عبادة نفسه، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ

---

(١) كالديانة الهندوسية والبوذية والصابئة والمجوس وما أشبه.

(٢) سورة الرعد: ١٥.

الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾ [1]. ومن هذه المقدمات نحصل على نتيجة هي: إن جميع الناس والملائكة كلهم عبيدٌ لله طائعون له (جل اسمه) ولا يستطيع أي مخلوق أن يفر من حكومة الله وسلطته، وقد وردت هذه الإشارة في دعاء كميل ابن زياد رحمه الله [2] الذي علمه إياه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) سورة المائدة: ٧٢.

(٢) كميل بن زياد، كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان من الزهد والتقوى بمكان. ودعاء كميل الذي ورد قراءته في ليلة النصف من شهر شعبان، وفي ليالي الجمعة منسوب إليه علّمه إياه أمير المؤمنين عليه السلام. قال المفيد رحمه الله: روى جليل عن المغيرة قال: لما ولي الحجاج طلب كميل ابن زياد، فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفد عمري، لا ينبغي أن احرم قومي عطاءهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا، فقال له كميل: لا تصرف علي أنيابك ولا تهدم علي، فوالله ما بقى من عمري إلا مثل كواهل العباد، فاقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله، وبعد القتل الحساب، ولقد خبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي. فقال له الحجاج: الحجة عليك إذن، فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك، قال: بلى، قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه (رضوان الله عليه). راجع الأنوار العلوية: ص ٤٦٨ ف٢ (كميل بن زياد).

وقال الزركلي في الأعلام: كميل بن زياد بن نهيك النخعي (١٢ـ ٨٢ هـ) تابعي ثقة، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، كان شريفاً مطاعاً في قومه، شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وسكن الكوفة، وروى الحديث، قتله الحجاج صبراً. الأعلام: ج٥ ص٢٣٤ كميل بن زياد.

حيث جاء في هذا الدعاء: «ولا يمكن الفرار من حكومتك»[1].

الهداية والتذكير بالآخرة

ثم إن من أسباب الهداية تذكير الناس بالموت واليوم الآخر، وما أكثر ذلك في القرآن الكريم والروايات الشريفة، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [2].

وهذا الكلام هو بمثابة الإيقاظ من الغفلة التي يعيشها الإنسان في أحضان هذه الدنيا؛ وتركيز على الهداية، ولذا يلزم على الإنسان أن يكون على حالتين، لكي يكون مستعداً لذلك اليوم الذي لا مفر منه وهي:

أولاً: العبودية لله تعالى.

ثانياً: خدمة الناس.

فالعبودية لله تعالى، لا تعني لقلقة اللسان فقط، بل على الإنسان أن يذعن بأنه عبدٌ لله ـ في قلبه وقرارة نفسه ـ ويخاف الله في جوارحه وأعماله، عند ذلك يكون إنساناً مهتدياً إذا أطاع الله عزوجل في أوامره

---

(١) مصباح الكفعمي: ص ٥٥٥ ف٤٤ فيما يعمل في شعبان.

(٢) سورة الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

ونواهيه.

القيادة الربانية

ومن أهم أسباب الهداية القيادة الربانية، دون القيادة الشيطانية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ (١).

فالعبودية لله والطاعة لأوامره سبحانه وتعالى هي غنيمة الأكياس، ومفتاح كل سداد، وصلاح كل فساد،

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «دعاكم ربكم سبحانه فنفرتم ووليتم، ودعاكم الشيطان فاستجبتم وأقبلتم»(٢).

وقال عليه السلام: «دعاكم الله سبحانه إلى دار البقاء وقرارة الخلود والنعماء، ومجاورة الأنبياء عليهم السلام والسعداء، فعصيتم، ودعتكم الدنيا إلى قرارة الشقاء ومحل الفناء وأنواع البلاء والعناء، فأطعتم وبادرتم وأسرعتم»(٣).

فمن أراد الهداية عليه أن يطيع الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت عليهم السلام فإن قولهم الحق والصدق.

أما إذا ترك هؤلاء الأطهار عليهم السلام وتمسك بالشيطان وأولياء الشيطان

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٣ ق٢ ب٢ ف٤ ح٣٧٧٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٤٥ ق١ ب٦ ف٢ ح٢٦١٦.

فإنه يكون بعيداً عن الهداية كل البُعد.

العلماء ومسؤولية الهداية

تقع مسؤولية الهداية على الجميع ولكن العلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينية مسؤولون قبل غيرهم من الناس؛ لأنهم وظفوا أنفسهم لهداية الناس إلى طريق الحق ورفع غبار الباطل عن أعين الناس؛ ولذا فإن محاسبتهم سوف تكون غداً أشد، فيجب عليهم أن يكونوا حقاً أتقياء، ويخافون الله، لأن هداية الناس مرتبطة بأعمالهم، فإذا منعوا الطريق المؤدي إلى الله سبحانه وتعالى فسيكونون لصوصاً، بل أشد من اللصوص وقطاع الطرق؛ لأنهم إن ضلوا هذا الطريق (والعياذ بالله)، فإنهم سوف لا يهلكون أنفسهم فقط، بل سوف يهلكون الآخرين أيضاً، لأن الناس قد ركنوا إليهم وأعطوهم حرية التصرف في رسم الطريق لهم لهدايتم إلى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإن الله (سبحانه وتعالى) سوف يحاسبهم أشد الحساب في الآخرة وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[1].

حيث قيل: إن الأمر بالوقوف والسؤال إنما يقع في صراط الجحيم، فهناك يُسأل أولئك الذين وضعوا أنفسهم موضع المسؤولية، حيث ينتظرهم الحساب العسير، وهناك يُغفَر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفَر

---

(١) سورة الصافات: ٢٤.

للعالم ذنب واحد.

عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حفص، ما منزلة الدنيا من نفسي إلاّ بمنزلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها ـ ثم قال :ـ فاز والله الأبرار، أتدري من هم؟ هم الذين لا يؤذون الذر. كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً. يا حفص، إنه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد. من تعلّم وعلم، وعمل بما علم، دعي في ملكوت السماوات: عظيماً، فقيل: تعلم لله وعمل لله، وعلم لله..»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «ويلٌ للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار»[2].

وعن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا بلغت النفس هاهنا ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ لم يكن للعالم توبة» ..

ثم قرأ عليه السلام: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ﴾[3]»[4].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ

---

(١) تفسير القمي: ج٢ ص١٤٦ سورة القصص.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٧ باب لزوم الحجة على العالم.. ح٢.

(٣) سورة النساء: ١٧.

(٤) الكافي: ج١ ص٤٧ باب لزوم الحجة على العالم ..ح٣.

وَالْغَاوُونَ﴾[1] قال: «هم قومٌ وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم، إن العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»[3].

خدمة الناس وطرقها

من مقومات الهداية: خدمة الناس، فإنها توفق الشخص للهداية، كما تمهد الطريق لهداية الآخرين.

وتتنوع الخدمة بتنوع الحاجات الروحية والمادية، فمنها الأمور

---

(١) سورة الشعراء: ٩٤.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٧ باب لزوم الحجة على العالم .. ح٤.

(٣) الكافي: ج١ ص٤٨ باب النوادر ح٢.

التالية:

أولاً- الخدمة الثقافية: يلزم العمل وبكل إخلاص من أجل توعية الناس وتوجيه أفكارهم وجعلها تسير في مسارها المستقيم لا يشوبها شك وشبهة؛ وذلك لأن الإمبريالية العالمية في عصرنا الحاضر قد صممت وبكل ما أوتيت من قوة على سرقة وتلويث أفكار الناس وتضليل عقائدهم التي وضعها ورسمها قائد البشرية الأعظم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

داروين وتضليل الناس

ومن جملة هؤلاء الذين وضعوا تلك الخطط لسرقة أفكار الناس وتضليلهم هو (داروين)[1] وكان ذلك قبل (٢٠٠ سنة)، فإن داروين

---

(١) تشارلز روبرت داروين، عالم طبيعي إنجليزي، ولد عام (١٨٠٩م)، صاحب النظرية الداروينية في أصل الأنواع وتطورها، وهو يقول: بان الكائنات الحية تنزع إلى إنتاج مواليد تختلف اختلافا طفيفا عن آبائها، وبان عملية الاصطفاء الطبيعي تفضي إلى بقاء الأصلح، أو الأكثر تكيفا مع البيئة، وبأن ذلك كله يؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل، وقد بسط داروين مذهبه هذا في كتابه (أصل الأنواع)، الذي أثار عند نشره عام (١٨٥٩م) عاصفة في الدوائر العلمية والفلسفية والدينية جميعاً، فهلل له جمع وسفهه آخرون، وقد وجهت له حملات نقدية كثيرة حتى الآن. وفي سنة (١٨٦٨م) شرح داروين أصل الحيوانات المستأنسة والنباتات. وفي كتابه (سلالة الإنسان بالنسبة للجنس) عام (١٨٧١م) قدم داروين عرضاً عملياً لانحدار الإنسان من أسلاف حيوانية. وكانت النظرة الشاملة لأعمال داروين مادية، وكان داروين ملحداً لا يؤمن بما وراء المادة. سفه آراءه العلماء وأثبتوا ←

→

بطلان نظريته ونقدوها بشكل علمي، فمما قالوا: إن النواميس التي أستند إليها داروين في نظرية التطور باطلة؛ لأنها لم تستند إلى دليل علمي أو برهان عقلي. وقالوا: وماذا نعلل جثث الفراعنة، وقد مر عليها آلاف السنين دون أي اختلاف يميزها عن الإنسان الحديث؟!

وقد ثبت لدى الدراسة أن كثيراً من نباتات مصر وحيواناتها لم تتغير عن وضعها خلال قرون كثيرة متطاولة، ويتضح ذلك من الأنسال الداجنة المنحوتة في بعض الآثار المصرية القديمة أو التي حفظت بالتحنيط، وكيف أنها تتشابه كل التشابه الصور الباقية اليوم، ويقول البعض رداً على النظرية التطورية: ويكفي لأبطال النظريات الداروينية أن يتأمل الإنسان (الحشرة) فإنها ظهرت في أقدم عصور الحياة الأرضية وثبتت أنواعها في جميع الأحوال. فهي تناقض ما ذهبوا إليه من التحولات المستمرة والبطيئة، فإنها تنقلب داخل الشرنقة من حالة الدودية إلى حالة حشرة طائرة، ولا تأثير عليها في الخارج، فالحشرة إذن شهادة حسية لبطلان مذهب داروين، كما أثبت عجزه في تفسير غرائزها العجيبة المحيرة للعقول.

هذه الأدلة وغيرها ساهمت في دحض نظرية التطور التي لم تقم على البراهين العلمية الصحيحة، بل قامت على شكوك واستقراءات ناقصة أدت على نقد النظرية بالطرق العلمية والوجدانية. ويذهب بعض الباحثين أن فرويد متفق مع دارون حول نظريته؛ لأسباب وخلفيات فلسفية إيديولوجية التي تسمى (بالثورة الجنسية) أو الإباحية الجنسية التي انتشرت في العالم الغربي، وفي العالم الشيوعي. إذ مادام الإنسان هو سليل الحيوانات ـ حسب رأي داروين وأتباعه ـ فإن الخلق والضمير والمثل الأخلاقية والعفة ليست إلا خرافة وخداعاً للنفس، وما على الإنسان إلا اتباع غرائزه تماماً كما يفعل أجداده من الحيوانات.

وكان الإمام الشيرازي الراحل(أعلى الله مقامه) قد نبه مرات عدة إلى ضرورة التصدي لمثل هذه الأفكار المنحرفة، وذلك عبر وسائل عديدة، منها تأليف الكتب في
←

→

هذا الشأن، إذ له (أعلى الله مقامه) كتاب: (بين الإسلام ودارون) ويتضمن العناوين: مبدأ التطور، لواحق النظرية المختلقة، الحياة، الاستقراء، بقية الأدلة، التشابه، التطور، الردة، الزوائد الأثرية، تنازع البقاء، انتخاب الأصلح، نشأة المجتمع، الدين، اللغة، الأخلاق، الحضارة، الزراعة، الطبخ، اللباس، الآلة، الزواج، الحواس. وقد ألفه الإمام الراحل(أعلى الله مقامه) في كربلاء المقدسة، وهو العدد الأول من سلسلة بين الإسلام والأديان والمبادئ. طبع مرات عدة وترجم إلى الفارسية، وللإمام الراحل ﷺ مقدمة لطيفة لهذا الكتاب بين فيها بعض العلل والأسباب التي جعلت مثل هكذا نظريات تتسرب إلى البلاد الإسلامية فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، منذ قرون، والكفر يجمع قواه، ويهيئ عَدده وعُدده، ويصنع السلاح والعتاد، ليغزو بلاد الإسلام، وينشر سيطرته على المسلمين. وهذا ـ بطبيعة الحال ـ لم يكن بالنسبة إلى الإسلام بما هو هو.. كما لم يكن جديداً بالنسبة إلى الإسلام، بما هو دين ودولة؛ إذ الإسلام بما هو هو أعلن منذ يومه الأول حربه الشعواء على الأنظمة الفاسدة، وعلى المستغلين والمستعمرين، وعلى المحترفين بالأديان المزيفة، والمتربّعين على آرائك السلطة باسم الله والمعاد. وبما هو دين ودولة، حاربته الأديان، وحاربته الدول، لما لمست فيه من قوة وثّابة آذنت بانهيارهما. فمنذ اليوم الأول، كان اليهود والمشركون ومن إليهم يشنّون الحروب الحارة والباردة على الإسلام ونبيّه وقرآنه، كما كانت الدول المحيطة بالجزيرة تتابع حروبها على الدولة الإسلامية.

لكن الإسلام صمد أمام كل هذه الاعتداءات بصبر ومثابرة حتى قبض على زمام الدنيا سياسياً واقتصادياً، وثقافياً وخلقياً؛ عقيدةً وسلوكاً. ورهبت الدول والأمم جانبه، حتى أن الحكام لم يكونوا يفكرون في منازلة المسلمين ومحاربتهم. ومع ذلك كله، تربّصت بالإسلام الدوائر حتى إذا تشتّتت دول المسلمين، واتّخذ كل من رؤسائهم منطقةً يحكم فيها، إذا بالكفر يبرز من خلف الستار ليحارب الإسلام في

←

بطرحه لنظريته القائلة: إن أصل الإنسان كان قرداً وللسير التكاملي

→

(الأندلس) باسم النصارى، وفي الشرق الأوسط باسم الصليب، وفي إيران والعراق باسم التتر، وهكذا.

لكن قوة الإسلام في نفوس المسلمين تمكنت من جمع قلوبهم، وإعادة الإسلام إلى الحياة، ليحكم البلاد في شؤونها العامة والخاصة. وهذا ما دفع الصليبيين ـ الجدد ـ إلى التفكير ملياً، ماذا يصنعون؟

وأخيراً: عزموا على انتزاع الإسلام من أدمغة المسلمين، حتى نجحوا في غزو البلاد فكرياً، وأمنوا من قيام الإسلام من جديد، ليطرد الكافرين والمستغلين.

وقد نجحت هذه الخطة أكبر نجاح، بينما غفل كثير من المسلمين عن هذه الخطة المدبرة بليل، ولقد صاح العلماء والمصلحون، وشجبوا انحراف المسلمين العقيدي، ولكن لا حياة لمن تُنادي! وإذا بالمسلم يتلفّت حوله، فلا يرى من الإسلام إلا اسمه، وهو آخذ إلى الاضمحلال! أما البلاد فهي تُسحق تحت أقدام الاستعمار، ويتلو صائحهم:

خلا لكِ الجو فبيضي واصفري

وهذا هو ما حداني إلى أن أُلقي نظرة بسيطة إلى المبادئ المستوردة ـ تمهيداً للسيطرة الصليبية ـ ووضعها على طاولة البحث والتشريح، ليعرف الشباب مدى مطابقتها للمنطق والحقيقة. ونبدأ بالنظرية (الداروينية) في صورة حوار بين مسلم وداروين؛ والله الموفق. كربلاء المقدسة محمد بن المهدي.

وله ﷺ كتاب (الإنسان والقرد) ألفه في كربلاء المقدسة أيضاً، وموضوعه نقد نظرية داروين، وللأسف فقد الكتاب مخطوطاً جراء مضايقة وإرهاب الحكومات الجائرة.

وينظر في هذا الشأن أيضا: الموسوعة السياسية: ج٢ ص٦٤٢ حرف الدال، والداروينية عرض وتحليل: ص١٨٦. وتهافت نظرية دارون: ص٩.

بمرور العصور والأزمنة صار هذا القرد إنساناً، فقد تمكن بنظريته هذه من كسب بعض الشباب البسطاء إليه، مع العلم بأن الإسلام يعارض هذه النظرية بشدة، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الرحمن : ﴿الرَّحْمنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۞ خَلَقَ الإنْسانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ ۞ ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ ۞ ثُمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٢).

مضافاً إلى الكثير من الروايات التي تبين كيفية خلق الإنسان.

هذه الآيات والروايات وغيرها تشير بوضوح إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لوحده بأحسن هيئة، لا كما يقول داروين والذين انتهجوا نهجه، من القائلين بأن الإنسان كان شيئاً غير ما هو عليه (أي القرد) ثم تطور ذلك المخلوق شيئاً فشيئاً إلى إنسان، وهذه النظرية باءت بالفشل وحتى علماء الغرب أثبتوا بطلانها، وقد صرح القرآن الكريم بكيفية خلق الإنسان، فإن الإنسان من أول خلقته كان إنساناً ومتطور الخلقة، حيث خلقه الله سبحانه آدمياً كاملاً عاقلاً متميز الصفات والطباع.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْناهُ

---

(١) سورة الرحمن: ١-٤.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢ - ١٤.

أَسْفَلَ سافِلِينَ ۞ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[1].

وقال عزوجل: ﴿خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[2].

والإنسان بطبيعة الحال هو من أعجب مخلوقات الله سبحانه وتعالى، بل أكثر من ذلك، فإنه أعجبها، ويظهر ذلك بوضوح بقياس وجوده إلى وجود غيره من المخلوقات، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [3].

فالإنسان الذي كرمه الباري وجعله سيد مخلوقاته، لابد وأن بين له طرق الهداية التكوينية والتشريعة، وإلاّ لم يكن أفضل الخلق كما هو واضح.

نعم قد يطغى الإنسان ولا يأخذ بالهداية التي فرضها الله عليه، فيكون كالأنعام بل هم أضل. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنّمَ كَثِيراً مّنَ الْجِنّ وَالإنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[4].

فرويد

---

(١) سورة التين: ٤ ـ ٦.

(٢) سورة الرحمن: ١٤.

(٣) سورة الإسراء: ٧٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٧٩.

أما الشخص الآخر الذي وضع قدمه في ميدان تحريف أفكار الناس وتضليلهم فهو (فرويد)[1] الذي كان يعتقد أن جميع الأديان والعقائد

---

(١) فرويد: (١٨٥٦-١٩٣٩م) طبيب أمراض عصبية، نمساوي، اختص في دراسة علم النفس، فدرس أهمية الدوافع والعواطف اللاشعورية والعوامل الجنسية لا سيما في طور الطفولة، إلا أن نظرياته كانت أشبه بالخيال، دعا إليها اليهود بكل ما يملكون من قوة؛ لأنها كانت تدعو إلى الإباحة الجنسية، وكان ذلك ربحاً مزدوجاً لليهود حيث يقع الشباب في شباكهم، وبذلك يتمكنون من تحطيم الدين والأخلاق معاً؛ ولهذا فإن نظريات فرويد وآراءه كانت تقابل بالاستنكار والمعارضة والتشكيك، فكان يبدل آراءه ويغير أفكاره باستمرار. فهو (فرويد) يرى أن تصرفات البشر واتجاهاتهم وعواطفهم ثمرة الغريزة الجنسية، فالغريزة الجنسية هي التي تحرك الإنسان منذ ولادته إلى حين مماته؛ إلا أن هذا الكلام لا يقبله العقل ولا المنطق؛ فالإنسان له جهتان:
جهة الجسد: والغالب أنه مسيّر فيها، فقد يكون طويلاً وقد يكون قصيراً وقد يكون، وو..
وجهة الروح: وللروح ناحيتان:
الأولى: التكون التي تكونت بواسطة (الوراثة) و(التربية) و(المحيط) وما أشبه.
والثانية: التمكن، وهي الناحية التي تبقى باختيار الإنسان مهما أراد وكيفما أراد. والناحية الأولى خاضعة للناحية الثانية؛ ولذا نرى الإنسان يختار ما يريد، وإن كان اختياره على خلاف البيئة وعلى نقيض التربية والوراثة، وهذا هو منطق الوجدان في الإنسان ويؤيده القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ سورة الإنسان: ٣. فللإنسان معدة تجوع تحركه نحو طلب الطعام، وله حالة جنسية تجوع فتحركه نحو الجنس، وله حالة ذهنية تدفعه لمعرفة المبدأ والمعاد تحركه نحو الدين، وهناك الكثير من الحالات التي تحرك الإنسان، فيرى (فرويد) أن النفس البشرية تطورت من نفس الحيوان الوحشي وإنسان الغاب، ولذا بقي فيها بقايا ←

وأعمال الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من أجل إشباع الغرائز الجنسية.. وإن الدنيا عنده تعني عبودية الإنسان للغريزة الجنسية في كل مجالات الحياة.

هذه النظرية واضحة البطلان؛ لأنها مما كذّبها الوجدان والبرهان

→

وارثات من الوحش، وهذا كلام مردود؛ وذلك لأن زمان الإرادة بيد الإنسان، فالبخيل (فطرة) وهو يتمكن أن يهب الألوف، كما أن الكريم (فطرة) فهو يتمكن أن يبخل، و(الفطرة مقتضية وليست علة تامة). ثم يأتي دور التربية الذي جعل من (أبي ذر) البدوي الراعي الغليظ إنساناً يشبه عيسى بن مريم عليه السلام.

ثم إنه يعتقد (فرويد) أن العواطف الكامنة الموروثة والعواطف المغروسة منذ الطفولة هما دفتا تسيّير البشر، أما (الوجدان المعاصر) فلا أثر له، وهذه النظرية لا تقبل الصحة، فلو صح القول: إن (قوة واحدة) تسير البشر، لكان اللازم أن نقول: إن القوة المسيرة هي (الوجدان المعاصر) فحسب، فإنا نجد من أنفسنا أن (سلوك المجتمع) و(الدروس) و(كيفية التربية) أو ما أشبهها هي التي تكّون (الوجدان المعاصر) وهي التي تسيرنا لا (العواطف الموروثة) ولا (العواطف المغروسة). وقد فاجأ (فرويد) العالم بتقريره الذي يقول: إن الرغبات الجنسية تثور بنفس الطفل وتوجد بها وجوداً لا شك فيه منذ مطالع الحياة، فهو يكره أباه لأنه منعه مزاولة العمل الجنسي مع أمه، ولهذا نرى الطفل في حالة الرضاع يحب أمه حباً جنسياً، ويجد لذة جنسية في الرضاع والتمسح بجسم الأم، وقد أدت هذه النظريات وسائر النظريات المستوردة (الفرويدية) مفعولها المر على العالم عامة، وعلى بعض البلاد الإسلامية أيضاً. أصيب (فرويد) بمرض السرطان سنة (١٩٢٣م) مما أدى إلى وفاته، أشهر مؤلفاته (دراسات في الهستريا Stubien berhysteyie) و(تأويل الأحلام Diletyaumdeatung) و(قلق الحضارة) و(ما فوق مبدأ اللذة). للتفصيل انظر: كتاب (نقد نظريات فرويد) للإمام الشيرازي الراحل (أعلى الله مقامه).

والتجارب الإنسانية، وقد تطرق إلى ذلك بالتفصيل بعض علمائنا الأفاضل في كتبهم، ولا يخفى أن هذه النظريات تكون لفسح المجال أمام الغريزة الجنسية بحيث لا ترى حرمةً ولا حياءً للمرأة ولا للرجل.

وهذا الإفراط والإنحراف يسبب كثيراً من المساوئ للفرد والمجتمع الإنساني، ابتداءً من الأمراض الجسدية الفتاكة، والتي بدورها تترك مضاعفات خطيرة على عمل الدماغ وخلايا الفكر، فقد أكدت بعض الدراسات العلمية إن بعض الجراثيم المرضية تستطيع أن تصل إلى خلايا الدماغ عن طريق الدم. وهكذا الأمراض الروحية كالكآبة وغيرها.

بالإضافة إلى الانحلال الجنسي الذي يؤدي إلى الانحلال الخلقي، وتبعاً لذلك فإن أعمدة الأسرة تتساقط الواحدة تلو الأخرى، وتبدأ الأسرة رحلة التمزق والضياع. وهذا بالضبط ما وقع فيه الغرب، حيث امتدت فيه الحرية الجنسية، واستمرت حتى أهلكت الحرث والنسل، ولم تقف عند الزنا واللواط، وإنما بلغت من الانحراف الجنسي حداً لا يطاق. وضاعت المرأة الغربية في هذا الوادي السحيق، وضاعت بضياعها العفة والحياء.

ماركس

وهكذا جاء (ماركس)[1] بنظريات مادية أخرى واهية وباطلة،

---

(١) كارل ماركس: (١٨١٨- ١٨٨٣م) فيلسوف اشتراكي ألماني، ولد في مدينة تريز بمنطقة الراين، من أصل يهودي، فهو حفيد الحاخام اليهودي المعروف (مردخاي ←

→

ماركس)، كان أبوه محامياً ثم اعتنق المسيحية. معروف عن كارل ماركس أنه شخص أناني متقلب المزاج، حاقد ومادي. التحق ماركس بجامعتي بون وبرلين حيث درس القانون هناك. صار عضواً بالنادي الثوري الليبرالي، حيث التقى بالعديد من الثوريين والرجعيين والشعراء والعسكريين ورجال الدولة، وأكتسب شهرة محلية كمفكر وصاحب جرأة في طرح المشكلات والإجابة عنها.

اهتم بدراسة الاقتصاد والسياسة، واشترك مع انجلز في تأليف كتاب (الأيدلوجية الألمانية). وفي بروكسل أتم نظريته عن المادية التاريخية، ثم انظم إلى الجمعية السرية الثورية الألمانية التي أصبحت فيما بعد العصبة الشيوعية، والتي كان يعمل على إخراجها إلى العلن متوخياً سياسة أعدها بعناية فائقة وكان شعارها: «يا عمال العالم اتحدوا». وفي عام (١٨٨٣م) مات ماركس أثر أصابته بخراج في الرئة. ترك مؤلفات عديدة من أبرزها رأس المال، والصراع الطبقي، ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي، والمسألة اليهودية، وبيان الحزب الشيوعي وغيرها. ساعده في التنظير للمذهب الماركسي فردريك انجلز (١٨٢٠- ١٨٩٥م) وهو صديق كارل ماركس الحميم، وقد ساعده في نشر المذهب كما أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات. تنسب الماركسية إليه، وهي النظام السياسي والاقتصادي الذي وضعه (ماركس) مع (أنجلز) والتي تقوم على أساسين: المادية الجدلية والمادية التاريخية، وهي تقول بأن المجتمع الرأسمالي يستند إلى استغلال البرجوازية للبروليتاريا. وتذهب إلى أن الشيوعية وهي المظهر السياسي للماركسية سوف تتحقق عندما يفضي الصراع الطبقي إلى إطاحة دكتاتورية البروليتاريا بالنظام الرأسمالي، وعندها ينشأ عن سقوط الدولة مجتمع لا طبقات فيه، ويعتبر (لينين) و(ليون تروتسكي) و(ماو تسي تونغ) من أكبر دعاة الماركسية.

انظر موسوعة السياسة: ج٥ ص٦٣٥ حرف الميم. ومن كتب الإمام الشيرازي الراحل(أعلى الله مقامه): ماركس ينهزم، ونقد المادية الديالكتيكية، ومباحثات مع
←

وظفت لترويجها حملات إعلامية ودعائية ضخمة، وصرفت من أجلها مبالغ كبيرة وكثيرة، واستطاعت أن تغرّر بعدد كبير من الناس الذين انجذبوا نحوها.

ولسنا الآن بصدد الرد على هذه النظريات فقد كتبت في ذلك بعض الكتب المفصلة يمكن مراجعتها[1].

→

الشيوعيين، وغيرها.

(١) ويعد الإمام الراحل (أعلى الله درجاته) من العلماء الذين تحسسوا لخطر الانحراف والتحريف ووقفوا كالطود الشامخ ـ كأجداده ـ للدفاع عن حريم العقيدة الإسلامية والتصدي لكل فكر ورأي شاذ ودخيل يخالف الشريعة والفطرة الإنسانية، فشخص جيداً عظم الداء وحذر منه، وأعطى بعناية الدواء الناجع وألح عليه. فكتب (مباحثات مع الشيوعيين) و(ماركس ينهزم) لصد تيارات المد الأحمر. وكتب (هؤلاء اليهود) و(هل سيبقى الصلح مع إسرائيل) و(احذروا اليهود) لتعريف المجتمع الإسلامي بأساليب اليهود وخططهم في السيطرة والدعاية. وكتب (البابية والبهائية) لفضح أساليب الاستعمار وأفكاره التي جاء بها. وكتب (وقفة مع الوجوديين) لضرب آراء سارتر وتلامذته. وكتب (الإنسان والقرد) لتفنيد فرضيات داروين . وكتب (نقد نظريات فرويد) حيث يرد فيه على بعض آراء فرويد ونظرياته، فكشف بطلانها وشخص عيوبها وأخطاءها بأسلوبه المعهود وطريقته المتميزة التي تتسم بالوضوح والبساطة، كما تتسم بالقوة والحسم. وضمنه بعض الردود على ما جاء في نظريات فرويد، ولم يتطرق الى الجوانب والقضايا الأخرى، والمتعلقة بسلوك فرويد وعلاقاته الشخصية والاجتماعية؛ لأنه ﷺ أراد أن يواجه الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي، وعدم الخوض في القضايا الجانبية، ولو أراد الخوض بها لربما قال البعض:

←

إلاّ أننا نقول بأن الهداية الناس بحاجة إلى التصدي للأفكار المنحرفة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة، بالحكمة والموعظة الحسنة وبالطرق العلمية والعملية الصحيحة.

→

أن هذه أمور شخصية وقضايا خاصة، مع أنها تركت تأثيراً كبيراً على كل ما جاء به فرويد من نظريات، حيث كشفت الدراسات بأن فرويد كان يعاني من عقد نفسية عديدة، أثرت وبقوة عل كل ما طرحه في مجال الإباحة الجنسية، أهمها علاقاته الشاذة مع بعض رفاقه وارتباطاته المحرمة مع محارمه و..

القومية باطلة

وهناك نوع آخر من الأفكار الباطلة التي أتخذها الاستعمار وسيلة للتفرقة بين المسلمين وإبعادهم عن الهداية الإسلامية، كمسألة القومية التي أوجدها الغرب في بلادنا عن طريق شخصين مسيحيين قبل خمسين عاماً تقريبا [1].

---

(١) القومية: في الاصطلاح السياسي يقصد بها جملة عوامل تربط جماعة إنسانية وتضمها في إطار وحدة تعرف بالوحدة القومية، فتأخذ بتمجيد ما يرتبط بقوميتها وإن كان باطلا، وتنظر إلى سائر القوميات بنظرة سلبية، فتفرق بين أبناء البشر على أساس القوميات.

وقد اجتاحت العالم منذ أوائل القرن التاسع عشر لاسيما في أوروبا، وتحت تأثير الثورة الفرنسية والثورة الصناعية، حركات قومية كانت تهدف إلى استثارة الروح الوطنية عند عدد من الشعوب، التي كانت إما طامحة في الاستقلال، مثل دول البلقان، أو طامحة في الوحدة السياسية مثل ألمانيا وإيطاليا، بتصور أن هذا الهدف السياسي لا يتحقق إلا بعد تثبيت أسس الوحدة القومية؛ لهذا كان من وسائلها نشر اللغة القومية وتراثها الفكري، فنشأ حينذاك ما عرف باسم حرب الثقافات والقوميات والطبقية وإحياء التقاليد الموروثة والفنون الشعبية، والإشادة بأحداث التاريخ حلوها ومرها، ورفع الشعارات والتغني بالأمجاد القومية، وقد مر العالم العربي بهذه المراحل في طريق الدعوة إلى الوحدة القومية..

أما القومية العربية فهي حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى إقامة دولة موحدة للعرب، على أساس رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، في مقابل رابطة الدين التي تجمع بين المسلمين كافة، وقد تولدت هذه الحركة من خلال دعاة الفكر القومي الذين ←

→

ظهروا في أوروبا. ولا يخفى أن أكثر رعاة القومية هم من المستشرقين وتلاميذهم، أمثال ميشيل عفلق وأضرابه. وكانت بدايات الفكر القومي في الوطن العربي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تمثلت ببعض الحركات السرية أنشأت من أجلها الجمعيات والخلايا في استانبول عاصمة الخلافة العثمانية، ثم أصبحت حركات علنية عبر جمعيات أدبية اتخذت من دمشق وبيروت مقراً لها، ثم ظهرت في المؤتمر العربي الأول الذي عُقد في باريس سنة (١٩١٢م) كحركة سياسية.

وكانت دعوة القومية العربية محصورة في بداياتها في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وعدد محدود من المسلمين الذين تأثروا بها، وأصبحت تياراً شعبياً عاماً حين تبنى الدعوة إليها ميشيل عفلق وجمال عبد الناصر وغيرهم، حيث سخروا لها أجهزة الإعلام الواسعة، وإمكانيات الدولة.

كما يعد (ساطع الحصري المتوفى ١٩٦٨م) داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية النصراني (ميشيل عفلق) أحد مؤسسي (حزب البعث).

ومن أهم مقومات القومية العربية هي: اللغة العربية، والدم، والتاريخ المشترك، والأرض، والآلام والآمال المشتركة، أما الدين فإنه مستبعد من مقومات القومية العربية، وربما يحارب بشراسة؛ لأنه بزعمهم يُفرّق العرب ولا يوحدهم، ومن المعروف عن القوميين وأهدافهم ودعواتهم أن غرض الكثيرين منهم الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاستعاضة عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين غربية وشرقية، ولا يخفى أن الاستعمار يساعد على وجود هذه الدعوات، وذلك لإبعاد المسلمين والعرب منهم خاصة عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها.

وقد تبع الغربَ بعضُ البلدان الإسلامية، علماً بأن الإسلام قام بمحاربة هذه الأفكار التي لا تنسجم مع الفطرة الإنسانية وتفرق بين إنسان وإنسان على أساس القومية والعرقية واللون واللسان وما أشبه، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١).

وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢)»(٣).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عمر، وولد أبي بكر، وسعد بن أبي وقاص، يطلبون منه التفضيل لهم؟!

فصعد المنبر ومال الناس إليه فقال: «الحمد لله ولي الحمد ..أما بعد أيها الناس، فلا يقولن رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا أفره الدواب، ولبسوا ألين الثياب، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إن لم يغفر لهم الغفار، إذا منعتهم ما كانوا فيه يخوضون، وصيرتهم إلى ما يستوجبون، فيفقدون ذلك فيسألون، ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب، وحرمنا ومنعنا حقوقنا. فالله عليهم

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) معدن الجواهر: ص٢١ باب ما جاء في واحد..

المستعان، من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وآمن بنبينا، وشهد شهادتنا، ودخل في ديننا، أجرينا عليه حكم القرآن وحدود الإسلام، ليس لأحد على أحد فضلٌ إلا بالتقوى. ألا وإن للمتقين عند الله تعالى أفضل الثواب وأحسن الجزاء والمآب، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتقين ثواباً، وما عند الله خيرٌ للأبرار. انظروا أهل دين الله فيما أصبتم في كتاب الله، وتركتم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاهدتم به في ذات الله، أبحسب، أم بنسب، أم بعمل، أم بطاعة، أم زهادة، وفيما أصبحتم فيه راغبين؟ فسارعوا إلى منازلكم رحمكم الله، التي أمرتم بعمارتها، العامرة التي لا تخرب، الباقية التي لا تنفد، التي دعاكم إليها، وحضكم عليها، ورغبكم فيها، وجعل الثواب عنده عنها. فاستتموا نعم الله عز ذكره بالتسليم لقضائه، والشكر على نعمائه، فمن لم يرض بهذا فليس منا ولا إلينا، وإن الحاكم يحكم بحكم الله، ولا خشية عليه من ذلك، أولئك هم المفلحون..»[1].

هذا ولا يخفى أن مقياس إنسانية الإنسان ـ في الشريعة الإسلامية ـ ليس باللون والانتماء القبلي أو القومي، ولا بالأموال والانتساب الملكي أو السلطوي، بل جميع الناس متساوون من هذه الجهات، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمنون كأسنان المشط يتساوون في الحقوق

---

(١) الكافي: ج٨ ص٣٦٠ كتاب الروضة ح٥٥١.

بينهم، ويتفاضلون بأعمالهم..»[1]. فكما أنّ المشط ليست في أسنانه ارتفاع وانخفاض عادة، بل كلها متساوية، فكذلك الناس من منظار الإسلام كلهم متساوون.

نعم، هناك في الإسلام معيار واحد للتفاضل وهو: التقوى، وهذا المعيار ليس للتفاضل أمام القانون بل هو للتفاضل عند الله، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]، فيقيس الإسلام شخصيّة الإنسان بمقدار ما يتصف به من التقوى، ويكرمه بقدرها، ويفضله بحسبها، ويثيبه على ذلك.

إن الإسلام ينظر إلى الناس كل الناس بمنظار واحد، ويتعامل مع الجميع بصورة واحدة، فنظرته التصورية وتطبيقه العملي الخارجي متطابقان بالنسبة إلى الإنسان، فالنظرة نظرة واحدة، والتعامل تعامل واحد، لا تفاوت فيهما ولا تفاضل، وإلى هذا المعنى يشير الرسول الأعظم ﷺ في عدة من رواياته: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[3].

فالتفاضل إنما هو بالتقوى، وفيما عدا ذلك فالناس فيه شرع سواء.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٢٧ ب١٠ ح٩٥٦٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) معدن الجواهر: ص٢١ باب ما جاء في واحد.

وبعبارة أخرى: كما أن الناس بالنسبة إلى الشمس سواسية، بحيث إنّ كل من يتعرض لأشعتها يحصل على نورها، وهكذا كل من يتعرض للأمور التكوينية الأخرى فإنه يفوز بالنيل منها، فكذلك الناس بالنسبة إلى رحمة الإسلام وهدى القرآن وقوانين الشريعة سواسية، وهم شرع سواء، كما إنهم أمام عدل الإسلام وحُكمه وقوانينه وقضائه وعطائه على نحو سواء أيضاً.

وقد ذكرنا أن التقوى هو معيار مهم للتفاضل عند الله عزوجل، لا أمام القانون، فالناس مختلفون في الثواب بحسب امتثالهم لأوامر الله تعالى ونواهيه، واتباع مناهجه وبرامجه، مع إزالة كلّ الفوارق الأخرى، ولكنهم يتساوون أمام القانون، فلا فرق في ذلك بين المتقي وغيره.

ومن هنا دعى الإسلام جميع الناس إلى الأخوة، لأنه لا يعتقد بنظام الطبقية بين البشر.

ولا يخفى أن الأخوة وعدم الطبقية من أهم عوامل الهداية، أما إذا كان الإسلام لا ينظر للناس بنظر سواسية من دون فرق وتمييز لما اهتدى إلى نور الإسلام الكثير من الشعوب.

ما الحل لتلك المشاكل؟

وهنا سؤال يطرح نفسه ويطالب بالحل لهذه المشكلة، مشكلة الإنحراف الفكري والعقائدي؟

فمن هو الذي يُنجي الناس من هذه الأفكار المنحرفة؟

وفي مقام الجواب نقول: إن تكليف هداية الناس وصدهم عن الانحراف يقع بالدرجة الأولى على عاتق الذين وضعوا أنفسهم في صدد خدمة المجتمع، فخدمة الناس قد تكون مادية وقد تكون معنوية، وأولئك هم علماء الدين وطلبة الحوزات العلمية، فيجب أن يقوموا بهداية الناس عبر مختلف الوسائل الممكنة، من نشر وتوزيع الكتب الإسلامية الصحيحة، في كل نقطة من نقاط العالم، وبمختلف اللغات، بحسب القدرات والإمكانات التي يمتلكونها، حتى يمكن إيصال الأفكار السليمة للناس وبشكلها الصحيح ليكون سببا لهدايتهم، فإنه ليس من الإنصاف أن تصل كتب الشيوعية والأديان والآراء المنحرفة الأخرى بأعداد هائلة إلى بلادنا الإسلامية. وإلى أية نقطة شاؤوا، ونحن لانستطيع أن نوصل كتبنا إليهم، بل لا نستطيع أن نوصلها حتى إلى أذهان شبابنا.

وهذا التقصير العلمي والثقافي والتربوي سيؤثر سلبا على هداية الناس.

فأكبر المكتبات الإسلامية حالياً لا يتجاوز عدد كتبها ألـ (١٥٠) ألف كتاب كما في بعض التقارير، بينما نشاهد سابقاً أن مكتبة الشيخ نصير الدين الطوسي[١] (رضوان الله تعالى عليه) قبل مئات السنين وحدها كانت

---

(١) هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قدس سره صاحب كتاب تجريد الاعتقاد، وكتاب التذكرة النصيرية، وكتاب تحرير أقليدس، وتحرير المجسطي، وشرح الإشارات، والفصول النصيرية، والفرائض النصيرية، ←

→

والأخلاق الناصرية، وكثير غيرها. ومن جملة أمره المشهور المنقول حكاية إستيزاره للسلطان هولاكو بن تولي بن جنكيز خان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نائرة الجور.

بفضل علمه الجم أصبح ذا حرمة وافرة ومنزلة كبيرة عند هولاكو خان سلطان التتار، فعمل الرصد الكبير في مراغة، واتخذ قبة وخزانة عظيمة ملأها بالكتب النفيسة، وبذلك تمكن من حفظ الكثير من المخطوطات والتي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى قيل: إنه تجمع فيها ما يزيد على أربعمائة ألف مجلد، ولما أمر هولاكو خان المحقق بالرصد، واختار محروسة مراغة من أعمال تبريز لبناء الرصد، فرصد فيه واستنبط عدة من الآلات الرصدية. وكان من أعوانه على الرصد من العلماء وتلاميذه جماعة أرسل إليهم هولاكو وأمر بإحضارهم. منهم: العلامة قطب الدين محمود الشيرازي صاحب شرف الأشراف والكليات، وهو فاضل حسن الخلق والسيرة مبرز في جميع أنواع الحكمة، محقق مدقق مفيد ومستفيد في صحبة المحقق الطوسي، ومنهم مؤيد الدين العروضي الدمشقي، وكان متبحرا في الهندسة وآلات الرصد، ومنهم فخر الدين كان طبيبا فاضلا حاذقا. ومنهم نجم الدين القزويني، وكان فاضلا في الحكمة والكلام. ومنهم محي الدين الأخلاطي، وكان فاضلا مهندسا في العلوم الرياضية، ومنهم محي الدين المغربي، وكان مهندسا فاضلا في العلوم الرياضية وأعمال الرصد. ومنهم نجم الدين الكاتب البغدادي، وكان فاضلا في أجزاء الرياضية والهندسة وعلم الرصد وكاتبا مصورا، ومات المحقق الخواجة، وبان النقص في كتاب الزيج، ولنقصهم عن ذلك لم يتموه، فلذلك بقي الخلل فيه فصار متروكا.

ولادته قدس سره بمشهد طوس في سنة (٥٩٧هـ)، وتوفي في سنة (٦٧٢هـ) ودفن في مقابر قريش في الكاظمية. انظر روضات الجنات: ج٦ ص٣٠٠ باب ما أوله الميم، والكنى والألقاب: ج٣ ص٢٥٠ نصير الدين الطوسي، وأمل الآمل: ج٢ ص٢٩٩ باب الميم
←

تحتوي على أربعمائة ألف كتاب، رغم أن كل الكتب في ذلك الزمان كانت مخطوطة! وأغلب الكتب الآن مطبوعة.

ومكتبة أحد الملوك الفاطميين في مصر كانت تحتوي على مليون وستمائة ألف كتاب كُلّها مخطوطة[1].

→

ح٩٠٤.

(١) قامت الدولة الفاطمية سنة (٢٩٧هـ) شمال أفريقيا ومصر برئاسة أبي عبد الله المهدي بمعونة أبي عبد الله الشيعي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لها. بسط الفاطميون سلطانهم على إفريقية من المحيط الأطلسي حتى برزخ السويس والشام. وكانت لهم السلطة في اليمن. ولولا هزيمة جيوشهم أمام الأتراك بقيادة طغرل بك (سنة ٤٥١هـ) لبلغوا جيال الهملايا. وإنما أبقى الأتراك الخلفاء العباسيين لمقاومة الفاطميين. والفاطميون سلالة تنتسب إلى رسول الله ﷺ، أنشئوا دولة تعاقب عليها (١٤) خليفة بدأت بعبد الله المهدي ـ وقيل عبيد الله ـ فهو أبو محمد عبيد الله بن الحسن النقي بن عبد الله الرضي أو الرضا أول الأئمة المستورين ابن محمد المكرم بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلوات الله عليهم)، وقد حاول أعداؤهم إثارة شكوك كثيرة حول نسبهم عزاها المؤرخون إلى الصراع السياسي الذي أحاط بقيام هذه الدولة الشيعية في محيط سني.

تعاقب على خلافتها كل من: عبد الله المهدي (٢٩٧ـ ٣٢٢هـ) والقائم بأمر الله (٣٢٢ ـ ٣٣٤هـ) والمنصور (٣٤٤ ـ ٣٤١هـ) والمعز لدين الله (٣٤١ـ ٣٦٥هـ) والعزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ) والحاكم بأمر الله (٣٨٦ـ ٤١١هـ) والظاهر (٤١١ـ ٤٢٧هـ) والمستنصر بالله (٤٢٧ـ ٤١١هـ) والمستعلي بالله (٤٨٧ـ ٤٩٥هـ) والآمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٥هـ) والحافظ لدين الله (٥٢٥ـ ٥٤٤هـ) والظافر بأمر الله (٥٤٤ـ ٥٤٩هـ)

←

→

والفائز بنصر الله (٥٤٩ـ ٥٥٥هـ) والعاضد (٥٥٥ـ ٥٦٧هـ)، وبالعاضد زالت الدولة الفاطمية التي استمرت من سنة (٢٩٧هـ) وقيل من سنة (٢٩٦هـ) إلى سنة (٥٦٧هـ)، وانتهت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي الذي استعمل سياسة الإفناء والاستئصال مع الشيعة ورجال الدولة الفاطمية. وكانت مدة الدولة الفاطمية (٢٦٨ سنة) وقيل: (٢٨٠سنة).

بلغت الحضارة في عهد الفاطميين أقصى الغايات، فبنوا المدن، وأقاموا المساجد، وأنشئوا دور الكتب والجامعات، واتسعت في أيامهم التجارة، وتحسنت الزراعة، وانتشرت الآداب، وفنون الحكمة وأنواع العلوم. قال المستشرق بروكلمان: إن آثار الفاطميين العظيمة مثل جامع الحاكم والجامع الأزهر الذي لا يزال مزدهرا إلى يومنا هذا كأعظم المؤسسات المدرسية في الإسلام لتشهد لهمم العالية التي ابتدعتها. وقال السيد مير علي: كان الفاطميون في أول عهدهم كالبطالسة الأولين يشجعون العلم ويكرمون العلماء، فشيدوا الكليات والمكاتب العامة ودار الحكمة، وحملوا إليها مجموعات عظيمة من الكتب في سائر العلوم والفنون والآلات الرياضية، لتكون رهن البحث والمراجعة، وعينوا لها أشهر الأساتذة، وكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة، كما كان الطلاب يمنحون جميع الأدوات الكتابية مجانا، وكان الخلفاء يعقدون المناظرات في شتى فروع العلم، كالمنطق والرياضة والفقه والطب، وكان الأساتذة يتشحون بلباس خاص عرف بالخلعة، أو العباءة الجامعية ـ كما هي الحال اليوم ـ وأرصدت للإنفاق على تلك المؤسسات، وعلى أساتذتها، وطلابها وموظفيها أملاك بلغ إيرادها السنوي (٤٣ مليون درهم)، ودعي الأساتذة من آسيا والأندلس لإلقاء المحاضرات في دار الحكمة، فازدادت بهم روعة وبهاء.

وإذا كان الفاطميون قد أقاموا الوحدة بعد التجزئة وانشئوا الجيش الضخم والأسطول الفخم فحموا بذلك العالم الإسلامي من أكبر كارثة كانت ستحل به، فانهم إلى جانب ذلك قد وضعوا منذ الساعة الأولى لحكمهم خطة هي أن يقوم هذا الحكم على

←

→

قواعد ثابتة من العلم والمعرفة، وخططوا لسياسة تعليمية شاملة ترتكز على إنشاء جامعة كبرى، ثم على تفريغ العلماء للعلم وحده، فلا يشغلهم شاغل العيش عن الانصراف إلى العلم، ولا يلهيهم الفقر عن التوسع في البحث والدرس، فجعلوا لهم موارد من الرزق تضمن لهم العيش الكريم، ثم أرسلوا يستدعون العلماء من الخارج. وقد اشتد هذا المنهج واتسع وقوي بعد إقامة الوحدة بضم البلاد الأخرى إلى مصر وإنشاء القاهرة وإقامة الأزهر.

ولقد توسع الحاكم بأمر الله بشأن دور الكتب العامة وحرص على تسهيل وصول جميع طبقات الشعب إليها، فقد قال المسبحي، وهو يتحدث عن مكتبات القصر: إن بعضها كان في خزائن القصر البرانية، ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن هذه الخزائن (البرانية) هي التي أنشأها الحاكم سنة (٣٩٥هـ) وسماها دار العلم، وحمل إليها من خزائن القصر من سائر العلوم والآداب ما لم ير مثله قط مجتمعاً لأحد من الملوك، وقد أباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم.

ومن مآثر الفاطميين التي لا يزال المسلمون يستفيدون منها حتى اليوم جامعة الأزهر، وقد شرع القائد الفاطمي جوهر في بناء الأزهر بأمر المعز عندما شرع في بناء مدينة القاهرة يوم السبت لستٍ بقين من جمادى الأولى سنة (٣٥٩هـ) وتم بناؤه في التاسع من رمضان سنة (٣٦٣هـ) ثم جدد فيه العزيز بالله والحاكم بأمر الله، ثم جدده المستنصر بالله والحافظ لدين الله. وكان هذا المسجد محل رعاية الخلفاء الفاطميون وعنايتهم، فقد كان الفاطميين يشجعون العلماء والفقهاء للتحلق في هذا المسجد واتخذوا منه جامعة علمية تعد بحق أقدم جامعة عرفها التاريخ. وفيه كان داعي الدعاة يعقد مجلساً للنساء يلقي عليهن من علوم أهل البيت عليهم السلام.

وأنشأ الفاطميون ما عرف باسم المحول، وهو أشبه شيء بقاعات المحاضرات العامة في عصرنا الحديث، وكان يؤم المحول الخاصة وشيوخ الدولة وخدم القصر والطارئون على مصر وعامة الناس. ولم يكتف الخلفاء الفاطميون بأن يكون المحول جزءً من
←

→

قصرهم بل نراهم يهتمون اهتماماً خاصاً بمكتبة القصر حتى عدت هذه المكتبة من مفاخر الفاطميين، فقد تميزت عن جميع مكتبات العالم في ذلك الوقت. ويقول المقريزي نقلاً عن ابن طي بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين الأيوبي على القصر: ومن جملة ما أبدعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا. ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت في القاهرة بالقصر، ويقول المقريزي: ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لّما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف مجلد، ويروى عن المسبحي أن عدد الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة بعضها داخل القصر وبعضها في خزائن القصر البرانية. وكانت هذه الخزائن تشتمل على مجلدات في كل فن من فنون العلوم. ويقال إن العزيز بالله ذكر عنده كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل نفسه، وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز فأخرج له من الخزانة من ينيف على عشرين نسخة منها نسخة بخط ابن جرير.. الخ.

ويقول الدكتور محمد الرميحي: كان اندفاع الفاطميين في مصر نحو عشق الكتب غريباً.. إلى أن يقول: وقد أنشأ خليفتهم العزيز بالله في عام (٩٧٥م) أول مكتبة شهيرة داخل قصره، وكانت من الضخامة بحيث أنها ضمت (٦٠٠ ألف) كتاب مخطوط مقسّمة إلى أربعين قسماً. ثم ما لبثت أن أنشئت أيضاً دار الحكمة القاهرية، وهي لم تكن أرفقاً لاحتواء الكتب فقط، ولكنها كانت تضم داخلها جيوشاً من المترجمين والعلماء والنساخين، وكانت بذلك جامعة متخصّصة لإنتاج الكتب. انظر مجلة العربي: العدد ٤٢٦ ص٢٢ لسنة١٩٩٤.

ومثلما شهد العصر الفاطمي ازدهار المكتبات القاهرية شهدت نهاية هذا العصر انهيارها بفعل النهب والحرائق واللامبالاة. وبعد أن يصف الدكتور محمد كامل حسين
←

وفي المقابل نجد إن مكتبة واحدة في أحد بلاد الغرب تحتوي على تسعة ملايين كتاب، ومكتبة أخرى في دولة أخرى غربية تحتوي على (٣٦) مليون كتاب!! [١].

←

بدء النكبات، وكيف أن جلود هذه الكتب أخذها العبيد والإماء برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها، وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصارت تلالاً باقية تعرف بتلال الكتب. وينتهي الدكتور إلى القول: أبادها صلاح الدين الأيوبي كما أباد دولة الفاطميين، وكذلك ضاعت كنوز الفاطميين بيد التعصب الممقوت.

أما المكتبات التي عبر عنها المسبحي بـ(البرّانيّة) فلعلها كانت كالمكتبات العامة في عصرنا هذا، ولعلها هي التي أنشأها الحاكم بأمر الله سنة (٣٩٥هـ) وسماها بدار العلم وجعلها جزءً من قصره. وكانت جامعة علمية للتعليم، وكثيراً ما كانت تقام المناظرات بين علمائها، من ذلك ما رواه السيوطي أن جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي أبا أسامة اللغوي النحوي قدم مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد وأبا إسحاق علي بن سليمان المعري النحوي، وكانوا يجتمعون في دار العلم في القاهرة وتجري بينهم مباحثات ومذاكرات. ويسترسل الدكتور محمد كامل حسين في الحديث معللاً هذا بقوله: ويخيل إلي أن السبب الذي من أجله شجّع الخلفاء الفاطميون العلم والعلماء أن المذهب الشيعي نفسه يقوم على العلم والعقل قبل كل شيء، فلا غرو إن رأينا الفاطميين يشجعون العلم الذي هو دعامة من دعائم العقيدة الشيعية.

انظر: صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين: ص١٨ الحياة الفكرية والعلمية، والشيعة في الميزان، وتاريخ الشيعة للشيخ المظفر.

(١) مكتبة الكونغرس الأمريكي في واشنطن.

قارنوا بين (١٥٠) ألف كتاب! وبين (٣٦) مليون كتاب كم هو الفارق؟!

ولذا فإن الثقافة الاستعمارية حلت محل الثقافة الإسلامية الأصيلة، فقد زرعت هذه الفئات الباغية التحلل واللامبالاة وعدم الإحساس بالمسؤولية في نفوس شباب المسلمين، وأظهر مصداق لذلك هم أولئك الذين صافحوا الغزاة وعملاءهم كحزب البعث العفلقي[1]، ومن سار

---

(١) حزب البعث: حزب تسلط على حكم العراق منذ (١٧/ تموز/ ١٩٦٨م حتى ٩/ ٤/ ٢٠٠٣)، حيث أسقط على يد أسياده الأمريكان، وهو حزب قومي علماني يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية والإسلامية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن: أمة عربية واحدة ـ ذات رسالة خالدة. وأهدافه: الوحدة، والحرية، والاشتراكية!!

وكان أول مبدئه في سنة (١٩٣٢م) فقد عاد من باريس قادماً إلى دمشق كل من ميشيل عفلق وهو نصراني ينتمي إلى الكنيسة الشرقية، وصلاح الدين البيطار، وذلك بعد الدراسة المكثفة في فرنسا على يد كبار المستشرقين، ومن أشهرهم: لويس ماسنيون الذي يقول عن عفلق: هو أخلص تلميذ تتلمذ على يدي. فعادا ـ عفلق والبيطار ـ محملين بأفكار قومية وثقافة غربية، وعملا في مجال التدريس، ومن خلاله أخذا ينشران أفكارهما بين والطلاب والشباب. وأصدرا مجلة الطليعة بالاشتراك مع الماركسيين سنة (١٩٣٤م) وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم جماعة الإحياء العربي. وفي نيسان (١٩٤٧م) تم تأسيس حزب باسم: حزب البعث العربي، وكان المؤسسين: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد، زكي الأرسوزي، وغيرهم، كما أصدروا مجلة باسم البعث. في سنة (١٩٥٣م) اندمج كل من حزب البعث العربي وحزب العربي الاشتراكي الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب ←

→

واحد أسمياه: حزب البعث العربي الاشتراكي.

استولى أحد أجنحة الحزب المنشقة على السلطة في العراق بعد أحداث دامية، ففي الرابع عشر من شهر تموز عام (١٩٥٨م) حدث انقلاب على النظام الملكي بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، فقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الإله ومن عثر عليه من أفراد العائلة المالكة، ونوري السعيد وأعوانه، فاسقط النظام الملكي، وبذلك انتهت الملوكية في العراق، ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية.

وبعد عشرة أيام من نشوب الثورة وصل ميشيل عفلق إلى بغداد وحاول إقناع أركان النظام الجديد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة سوريا ومصر ولكن الحزب الشيوعي العراقي أحبط مساعيه ونادى بعبد الكريم قاسم زعيما للعراق. وفي الثامن من شباط عام (١٩٦٣م) قام الحزب بانقلاب على عبد الكريم قاسم، وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرسا وأحداثاً دموية رهيبة في بغداد ومدن العراق، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت إثره أول حكومة بعثية، وسرعان ما نشب خلاف بين البعثيين في العراق فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة، وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في (١٨/ تشرين الثاني/١٩٦٣م). أوصى ميشيل عفلق بتعيين صدام حسين عضوا في القيادة القطرية لفرع حزب البعث العراقي. وبعد مقتل عبد السلام عارف في حادث الطائرة المدبر في عام (١٩٦٦م) استلم أخوه عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية في العراق.

وبإيعاز من المخابرات الأمريكية والبريطانية إلى عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداود وبتحالف مع البعثيين وعلى رأسهم أحمد حسن البكر قاموا بتغيير السلطة في العراق، فيما عرف بانقلاب تموز (١٩٦٨م) ونفي عبد الرحمن عارف إلى تركيا. وفي اليوم الثلاثين من الشهر نفسه طرد حزب البعث كافة من تعاونوا معه في انقلابه، وعين أحمد حسن البكر نفسه رئيساً لما يسمى بمجلس قيادة الثورة ورئيساً للجمهورية وقائداً

←

→

عاماً للجيش، وأصبح صدام التكريتي نائباً له، ومسؤولاً عن الملف الأمني.

تمت تصفيات عديدة في صفوف الحزب قادة وكوادر كان مهندسها ومخططها صدام التكريتي، وكان من أشهر ضحايا هذه التصفيات الفريق الركن حردان التكريتي في الكويت، الذي كان عضواً في مجلس قيادة الثورة، ونائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع. وتم اغتيال فؤاد الركابي في السجن، وكان المنظر الأول للحزب، وأحد أبرز قادته، واعدم ناظم كزار رئيس جهاز الأمن وخمسة وثلاثين شخصا من أنصار انقلابه الفاشل الذي قاموا به. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح صدام التكريتي رئيسا للجمهورية بعد انقلاب على البكر، حيث تم تجريد الأخير من جميع مناصبه وفرضت الإقامة الجبرية عليه في منزله، ثم قتل بظروف غامضة قيل إن صدام أمر بحقنه بإبرة ترفع السكر في دمه وذلك عام (١٩٨٢م). وفي عام (١٩٧٩م) أيضاً قام صدام بحملة إعدامات واسعة طالت أكثر من ثلث مما يسمى مجلس قيادة الثورة، وأكثر من خمسمائة عضو من أبرز أعضاء حزب البعث بحجة كشف مؤامرة انقلابية. وممن تم إعدامهم: غانم عبد الجليل وزير التعليم، ومحمد محجوب وزير التربية، ومحمد عايش وزير الصناعة، وعدنان الحمداني، والدكتور ناصر الحاني، ثم قتل مرتضى سعيد عبد الباقي تحت التعذيب، وقد سبق لكل من الأخيرين أن شغلا منصب وزير الخارجية، وقد بلغ عدد من أعدمهم صدام خلال أقل من شهر واحد ستة وخمسين شخصاً من كبار أعضاء حزبه.

أما عن سلوكيات ومبادئ حزب البعث في العراق، فقد نادى مؤسس الحزب بضرورة الأخذ بنظام الحزب الواحد؛ لأنه وكما يقول عفلق: إن القدر هو الذي حملنا هذه الرسالة، وخولنا أيضا حق الأمر والكلام بقوة والعمل بقسوة لفرض تعليمات الحزب.

ومن ثم لا يوجد أي مواطن يتمتع بأبسط قدر من الحرية الشخصية أو السياسية في قبال ذلك؛ فكل شيء في العراق يخضع لرقابة بوليسية صارمة، وتشكل دوائر ←

→

المباحث والمخابرات والأمن قنوات الاتصالات الوحيدة بين المواطنين والنظام. وتركز سياسة الحزب على قطع كافة الروابط بين العروبة والإسلام، وتنادي بفصل الدين عن السياسة، والمساواة بين شريعة حمورابي وشعر الجاهلية وبين الدين الإسلامي.

وادعت سياسة الحزب أن تحقيق الاشتراكية شرط أساسي لبقاء الأمة العربية ولإمكان تقدمها، مع أن النتيجة الحتمية للسياسة الاشتراكية التي طبقت في العراق لم تجلب الرخاء للشعب، ولم ترفع مستوى الفقراء، ولكنها ساوت الجميع في الفقر، وبعد أن كان العراق قمة في الثراء ووفرة الموارد والثروات، أصبح بطيش الحزب الحاكم عاجزاً عن توفير القوت الأساسي لشعبه، كما قام بتجريد الدستور العراقي من كل القوانين التي لها صلة بالإسلام، فأصبحت العلمانية هي دستور العراق، ومعتقدات صدام وحزبه ومبادئه هي مصدر التشريع لقوانينه، واتجه صدام التكريتي وحزبه إلى إعلان الحرب على الإسلام والعاملين له في كافة المجالات بضراوة وشراسة شديدة، ولسان حاله: وكنت امرءً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي.

فقام بقتل العلماء ومهاجمة الحوزات العلمية، وأصدر أوامره بإغلاق مئات المساجد والحسينيات والمراكز الدينية وهدمها؛ لمجرد أن الشباب المسلم يلتقي فيها، وإلقاء القبض على من يتردد إليها، وتتابعت القرارات بإعدام الآلاف من الشخصيات الإسلامية. وقد جلب من وسائل التعذيب في سجون ومعتقلات بلاده ما تقشعر لهوله الأبدان، وعرف عن جلاوزته أنهم يلجئون إلى أبشع وسائل التعذيب شناعة وقساوة في سبيل انتزاع الاعترافات من المساجين أو ثنيهم عن معتقداتهم، حتى فاق كثيرا من طغاة التأريخ في الإرهاب من أمثال الحجاج وزياد بن أبيه وابنه وهارون ومن شاكلهم في الجرم والإجرام.

لا شك أنه بشخص صدام ونظامه انكشف زيف وكذب ادعاءات وشعارات الحزب الحاكم في العراق، حيث أصبح مرفوضا على المستوى المحلي والعربي والإسلامي، ←

على شاكلتهم الذين ساروا على خط الظلم والضلال.

إن آباءنا حاربوا الاستعمار البريطاني كما في عراقنا المسلم[1] لماذا؟

→

بسبب أسلوبه الهمجي في التعامل مع جيرانه وأشقائه ومواطنيه، كما أصبح صدام ممقوتا من حيث جبلته الشريرة وغريزته العدوانية المسعورة، وجنون العظمة المسيطر على تصرفاته، ولجوئه إلى المخادعة بعد أن انكشفت نواياه الخبيثة في التعامل مع شعبه وفي حربه مع إيران، ثم في انقلابه على الكويت الداعمة له في حربه السابقة.

ورغم تظاهر الحزب بالمطالبة بإتاحة أكبر قدر من الحرية للمواطنين فإن ممارساته القمعية فاقت كل تصور وانتهكت كل الحرمات ووأدت كل الحريات وألجأت الكثيرين إلى الهجرة والفرار بعقيدتهم من الظلم والاضطهاد.

(١) ثورة العشرين: هي ثورة عارمة ضد الاحتلال الإنكليزي للعراق انطلقت شرارتها عام (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م)، حيث أصدر قائد الثورة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي رحمه الله والذي كان المرجع الأعلى للطائفة، فتواه الشهيرة ضد التواجد الإنكليزي في العراق مما اضطر الإنكليز للخروج بالخيبة والانكسار، وهذا نص الفتوى: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم) انظر الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة (١٩٢٠م) ونتائجها: ص١٩٢-١٩٥.

ومن أبرز العلماء الأعلام الذين جاهدوا وشاركوا في مواجهة الغزو البريطاني: الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي قائد الثورة حتى استشهد بالسم، والسيد محمد سعيد الحبوبي، و آية الله السيد كاظم اليزدي، وآية الله الشيخ مهدي الخالصي، والسيد مهدي الحيدري، وآية الله شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والسيد علي الداماد، وكثير غيرهم من العلماء الأفاضل ومن شيوخ العشائر الكرام الأشراف، وقد بلغ عدد المجاهدين أكثر من ثلاثين ألف راجل وعشرة آلاف فارس ←

لأن ثقافتهم كانت ثقافة إسلامية، وكانوا مهتدين بنور القرآن، ولكن بعض الأبناء ركعوا لتلك السياسة الاستعمارية، ومهدوا لهم السبيل للعودة ثانية إلى البلد، لعدم ثقافتهم وهدايتهم.

إذاً، فما هو الفارق في الموقفين: موقف الآباء المشرف، وموقف الأبناء المخزي؟

نقول: إن الفارق الأساسي هو الهداية، فإن الثقافة الاستعمارية دخلت في صفوف أولئك الشباب واستطاعت أن تتغلغل في أذهانهم، وعندما تغيرت الثقافة تغير كل شيء، فنحن لا نستطيع تحرير البلاد الإسلامية اليوم إلا بتبديل ثقافة هؤلاء الرازحين تحت نير الظلم والاستبداد إلى ثقافة إسلامية أصيلة.

وعلى عاتق من يقع هذا الحمل الثقيل؟

لاشك ولا ريب أن هذا الحمل الثقيل يقع على عاتق كل إنسان مؤمن ففي الحديث الشريف: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول

→

والتحق بهم ستمائة فارس من المجاهدين الأكراد. انظر الحقائق الناصعة لثورة العشرين، وتاريخ التحرك الإسلامي في العراق (١٩٠٠ -١٩٢٤م)، وتاريخ العراق السياسي المعاصر: ج٢ ص١٤١.

عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[1] إلا أن وظيفة علماء الدين وطلبة الحوزات العلمية أكثر بكثير؛ حيث إنهم جعلوا أنفسهم في موقع خدمة الناس والمجتمع، وفي سبيل هدايتهم وتوجيههم وحمايتهم من الانحراف، ففي رواية: خرج رسول الله ﷺ، فإذا في المسجد مجلسان: مجلس يتفقّهون، ومجلس يدعون الله تعالى ويسألونه، فقال: «كلا المجلسين إلى خير، أما هؤلاء فيدعون الله، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقّهون الجاهل، هؤلاء أفضل، بالتعليم أُرسلتُ»، ثم قعد معهم[2].

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عز وجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[3]؟ فقال: «من أخرجها من ضلال إلى هدى، فكأنما أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»[4].

قضاء حوائج الناس

سبق أن أشرنا إلى أن من مقومات الهداية قضاء حوائج الناس، فالخدمة العملية هي الأمر الثاني في هذا الباب.

وتتجلى في خدمة الإنسان بما هو إنسان في قضاء حوائجه وتسهيل

---

(١) إرشاد القلوب: ج١ ص١٨٤ ب٥١.

(٢) منية المريد: ص١٠٦ فصل فيما روي عن النبي ﷺ في فضل العلم.

(٣) سورة المائدة: ٣٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٨٧ ب١٩ ح٢١٣٠٨.

أموره وتقديم الخدمات له وهكذا، فلو أبى أحد من إسداء الخدمة إلى الناس فهو لا يسير في خط الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والكثير من القائمين اليوم بالحركة الإسلامية يتوهمون أنه ليس المهم السعي لقضاء حوائج الناس، وإنما المهم هو الاشتغال بالحركة فقط، وهذا زعم خاطئ، فإن الحركة الإسلامية لا تتقدم إلا بالتفاف الجماهير حولها، وهذا بدوره لايحصل إلاّ بخدمة الناس ومساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم. ومهما كانت الحاجة صغيرة فإنها في نظر المحتاج كبيرة، وفي المثل: صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاها. ولذا فإن مسألة خدمة الناس وقضاء حوائجهم مسألة في غاية الأهمية.

ومن هنا نجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) كانوا يسعون دائما في قضاء حوائج الناس وخدمتهم حسب قدرتهم وإمكاناتهم، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا لم يتمكن من قضاء الحاجة في وقت الطلب والسؤال كان يجعل قضاءها ديناً على نفسه فيقضيها عند تمكنه منها.

وكم في التاريخ الإسلامي شواهد عظيمة تبين مدى تواضع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميعاً، والسعي لقضاء حوائجهم، وهذا الأسلوب كان مؤثرا في هداية كثير من الناس، عن جابر بن عبد الله [1]

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري، أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي الأنصاري. يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن. وهو من ←

قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، شاهدت منها تسع عشرة غزوة، وغبت عن اثنتين، فبينا أنا معه في بعض غزواته إذ

→

أصحاب الرسول الله ﷺ، وهو أحد الستة الذين شهدوا العقبة، وشهد بدراً وأحداً، وقد شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة. راجع أسد الغابة: ج١ ص٢٥ ترجمة جابر بن عبد الله الأنصاري.

كان جابر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأصفيائه شهد صفين وهو من شرطة الخميس في الكوفة، وهو أيضاً من أصحاب الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام، كان عظيم الشأن قال الصادق عليه السلام: «هو آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان منقطعاً إلينا»، وكان يقعد في مسجد المدينة وهو معمم بعمامة سوداء ينادي: يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: ما أهجر ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك ستدرك رجلاً من أهل بيتي أسمه أسمي، وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرا، فذلك الذي دعاني إلى ما أقول». وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال في جابر: «لم يكذب جابر». وعن عثمان بن أبي الزبير المكي قال: رأيت جابراً يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم وهو يقول: «علي خير البشر فمن أبى فقد كفر، معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي، فمن أبى فلينظر في شأن أمه». وكان لجابر حلقة في المسجد النبوي يؤخذ منه العلم. وفي الوجيزة: أن جابر بن عبد الله الأنصاري ثقة وجلاله أجل من أن يحتاج إلى البيان. وفي رجال الكشي: أنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام. بهجة الآمال: ج٢ ص٤٨٢ ترجمة جابر بن عبد الله الأنصاري.

توفي جابر (رحمه الله) سنة ٧٤ للهجرة، وقيل: سبع وسبعين، وكان عمره آنذاك أربعاً وتسعين عاماً، وقد أوصى أن لا يصلي عليه الحجاج الثقفي.

أعيا ناضحي[1] تحت الليل فبرك، وكان رسول الله ﷺ في أخريات الناس يزجي الضعيف ويردفه[2] ويدعو لهم، فانتهى إلي وأنا أقول: يا لهف أماه، ما زال لنا ناضح سوء.

فقال ﷺ: «من هذا؟».

فقلت: أنا جابر، بأبي وأمي يا رسول الله.

قال: «وما شأنك؟».

قلت: أعيا ناضحي.

فقال: «أمعك عصا؟»، فقلت: نعم. فضربه ثم بعثه، ثم أناخه ووطئ على ذراعه، وقال: «اركب»، فركبت وسايرته، فجعل جملي يسبقه، فاستغفر لي تلك الليلة خمساً وعشرين مرة، فقال لي: «ما ترك عبد الله من الولد؟» يعني: أباه، قلت: سبع نسوة، قال: «أبوك عليه دين؟» قلت: نعم، قال: «فإذا قدمت المدينة فقاطعهم، فإن أبوا، فإذا حضر جداد نخلكم فآذني». فقال: هل تزوجت؟» قلت: نعم، قال: «بمن؟»، قلت: بفلانة بنت فلان، بأيم كانت بالمدينة. قال: «فهلا فتاة تلاعبها وتلاعبك؟» قلت: يا رسول الله، كن عندي نسوة خرق، يعني

---

(١) الناضح: البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والأنثى بالهاء ناضحة. لسان العرب: ج٢ ص٦١٩ مادة «نضح».

(٢) ردف الرجل وأردفه: ركب خلفه، وارتدفه خلفه على الدابة. يقال: ردفت الرجل إذا ركبت خلفه، وأردفته أركبته خلفي. لسان العرب: ج٩ ص١١٤ مادة «ردف».

أخواته، فكرهت أن آتيهن بامرأة خرقاء، فقلت: هذه أجمع لأمري، قال: «أصبت ورشدت» فقال: «بكم اشتريت جملك؟». فقلت: بخمس أواق من ذهب، قال: «بعنيه ولك ظهره إلى المدينة» فلما قدم المدينة أتيته بالجمل، فقال: «يا بلال، أعطه خمس أواق من ذهب يستعين بها في دَين عبد الله، وزده ثلاثا، ورد عليه جمله» قال: «هل قاطعت غرماء عبد الله؟»، قلت: لا يا رسول الله، قال: «أترك وفاء» قلت: لا، قال: « لا عليك، فإذا حضر جداد نخلكم فآذني»، فآذنته، فجاء فدعا لنا فجددنا، واستوفى كل غريم ما كان يطلب تمرا وفاء، وبقي لنا ما كنا نجد وأكثر، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا ولا تكيلوا، فرفعناه وأكلنا منه زمانا»[1].

هذه القصة وكثير غيرها تعطينا أكثر من درس، فهي تدل على التواضع العظيم الذي كان الرسول الأعظم ﷺ يتحلى به، حيث كان مع آخر مقاتل من جيشه ليتفقد رعيته ويرعى القافلة بأكملها، فيعين ضعيفها ومحتاجها، ويأخذ بأطراف الحديث مع جابر، فيسأله عن وضعه الاجتماعي والاقتصادي، ويقوم بإعانته على قضاء حوائجه.

والدرس الآخر الذي نستلهمه من القصة هو أن القائد الإسلامي مع مسؤولياته الجسام وكثرة انشغاله بكبريات الأمور، أمثال: الحرب

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢٠ ب١ ف٢ في الرفق بأمته ﷺ.

والسياسة، فإنه يلزم عليه أن لا يترك الأمور الجزئية تحت ذريعة الانشغال بالأمور الكبيرة.

فالرسول الأعظم ﷺ يريد أن يعلّم كل واحد منا ـ فضلاً عن القائد الإسلامي ـ أنه لابد من الاهتمام بحوائج الناس وخدمتهم، كالسؤال عن حال الأخ المؤمن، وهل هو في ضائقة مالية أو معيشية، وما أشبه، والاهتمام بالأخلاقيات والاجتماعيات، فضلاً عن بعض العبادات المستحبة مع الفرائض والواجبات؛ إذ أن البعض يتصور أن قيامه بالأمور الكبيرة يغنيه عن الاهتمام ببعض التفاصيل ومراعاة الجزئيات.

ولكن ترك بعض الجزئيات سبب لأن تصبح هذه الأمور الصغيرة شيئا فشيئا أمراً كبيراً لا يمكن معالجته، فبعض القياديين وبحجة الانشغال بالعلاقات العامة مع أقرانه من السياسيين، أو انشغاله بأمور الدولة المهمة، فإنهم ـ وللأسف ـ تراهم يعرضون عن طلبات الجماهير، ويصفونها بالأمور الصغيرة، بل في بعض الأحيان ينصبون من يقوم مقامهم للقيام بشؤون الناس، وربما يكون سلوك الأخير غير سلوك القائد، وتأثيره غير تأثير القائد، مما يؤدي إلى اتساع الهوة بين القيادة والقاعدة.

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله قال: لم يكن يسأل رسول الله

ﷺ شيئاً قط فيقول: لا[1].

وفيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر[2] حين ولاه مصر، وهو أطول عهد وأجمعه للمحاسن: « ..ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٨ ب١ ف٢ في جوده ﷺ.

(٢) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة ين حذيمة (أو جذيمة) بن سعد بن مالك بن النخع، وكان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، قال عليه السلام فيه بعد موته: «يرحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ ..» ولقد قاتل مع أمير المؤمنين عليه السلام في جميع حروبه من الجمل إلى صفين إلى النهروان، وهو صاحب العهد الذي كتبه الإمام عليه السلام له حين ولاه مصر وقال فيه: «أما بعد، فقد وجهت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء، حذار الدوائر أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث الأشتر أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تحجموا فاحجموا؛ فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري وقد آثرتكم به على نفسي؛ لنصيحته وشدة شكيمته على عدوه، عصمكم الله بالحق وثبتكم باليقين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». وعن صعصعة بن صوحان قال: فلما بلغ عليا عليه السلام موت الأشتر قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا فقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها من أعظم المصائب». الغارات: ص١٦٦ خبر قتل الأشتر رحمه الله. وانظر بحار الأنوار: ج٣٣ ص٥٥٥ ب٣٠ ضمن ح٧٢٢، وج٤٢ ص١٧٦ ب١٢٤ ح٣٥.

الوالد من ولده، ولا يعظمن في نفسك شيء أعطيتهم إياه، ولا تحقرن لهم لطفا تلطفهم به؛ فإنه يرفق بهم كل ما كان منك إليهم وإن قل، ولا تدعن تفقد لطيف أمورهم اتكالا على نظرك في جسيمها؛ فإن للطيف موضعا ينتفع به، وللجسيم موضعا لا يستغنى فيه عنه.. واخصص أهل الشجاعة والنجدة بكل عارفةٍ وامدد لهم أعينهم إلى صور عميقات ما عندهم، بالبذل في حسن الثناء وكثرة المسألة عنهم رجلا رجلا، وما أبلي في كل مشهدٍ، وإظهار ذلك منك عنه؛ فإن ذلك يهز الشجاع ويحرض غيره.. ولا تفسدن أحدا منهم عندك علةٌ عرضت له أو نَبوَةٌ كانت منه قد كان له قبلها حسن بلاءٍ؛ فإن العز بيد الله يعطيه إذا شاء ويكفه إذا شاء، ولو كانت الشجاعة تفتعل لافتعلها أكثر الناس، ولكنها طبائع بيد الله ملكها وتقدير ما أحب منها، وإن أصيب أحدٌ من فرسانك وأهل النكاية المعروفة في أعدائك فاخلفه في أهله بأحسن ما يخلف به الوصي الموثوق به، في اللطف بهم وحسن الولاية لهم؛ حتى لا يرى عليهم أثر فقده ولا يجدوا لمصابه، فإن ذلك يعطف عليك قلوب فرسانك ويزدادون به تعظيما لطاعتك، وتطيب النفوس بالركوب لمعاريض التلف في تسديد أمرك، ولا قوة إلا بالله»[1].

وفيه أيضاً: «.. وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص١٥٠ ب٤٢ ح ١٥٠١٨. وشبهه في نهج البلاغة، الكتب: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها..

احتجاب الولاة عن الرعية شعبةٌ من الضيق وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سماتٌ تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤٌ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مئونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة، ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثارٌ وتطاولٌ وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك، يحملون مئونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة، وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودةٌ، وإن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك؛ فإن في ذلك أعذاراً تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق.. »[1].

---

(١) نهج البلاغة، الكتب: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر ←

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى قثم بن العباس وكان عامله على مكة: «أما بعد، فأقم للناس الحج ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾[1]، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم، ولا يكن لك إلى الناس سفيرٌ إلا لسانك، ولا حاجبٌ إلا وجهك، ولا تحجبن ذا حاجةٍ عن لقائك بها، فإنها إن ذيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها، وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا، ومر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكنٍ أجراً؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾[2]، فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحج إليه من غير أهله، وفقنا الله وإياكم لمحابه، والسلام»[3].

وقال علي عليه السلام: «واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية؛ حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك،

→

وأعمالها..

(١) سورة إبراهيم عليه السلام: ٥.

(٢) سورة الحج: ٢٥.

(٣) نهج البلاغة، الكتب: ٦٧ من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة.

والسلام»[1].

قضاء حاجة الجارية

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بلي ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهما، فقال عليه السلام: يا علي، خذ هذه الدراهم فاشتر لي بها ثوبا ألبسه، قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصا باثني عشر درهما، وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليه، فقال: يا علي، غير هذا أحب إلي، أترى صاحبه يقيلنا؟ فقلت: لا أدري، فقال: انظر، فجئت إلى صاحبه فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كره هذا يريد غيره، فأقلنا فيه. فرد علي الدراهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فمشى معه إلى السوق ليبتاع قميصا، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: وما شأنك؟ قالت: يا رسول الله، إن أهلي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم حاجة، فضاعت، فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلك، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السوق فاشترى قميصا بأربعة دراهم ولبسه، وحمد الله عز وجل، فرأى رجلا عريانا يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع عليه السلام إلى السوق، فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصا آخر فلبسه وحمد

---

(١) نهج البلاغة، الكتب: ٤٦ من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

الله عز وجل، ورجع إلى منزله، فإذا الجارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلك؟! قالت: يا رسول الله، إني قد أبطأت عليهم، أخاف أن يضربوني، فقال رسول الله ﷺ: مري بين يدي ودليني على أهلك، وجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه! فأعاد السلام، فلم يجيبوه! فأعاد السلام، فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال ﷺ: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟! فقالوا: يا رسول الله، سمعنا كلامك فأحببنا أن نستكثر منه، فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤذوها، فقالوا: يا رسول الله، هي حرة لمشاك، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله ما رأيت اثني عشر درهما أعظم بركة من هذه، كسا الله بها عاريين وأعتق نسمة»[1].

امرأة تشكي زوجها

وعن الإمام الباقر عليه السلام ـ في خبر ـ: «أنه رجع علي عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى علي، وحلف ليضربني؟ فقال عليه السلام: يا أمة الله، اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله؟ فقالت: يشتد غضبه وحرده علي،

(١) الخصال: ج٢ ص٤٩٠ أبواب الإثني عشر ح٦٩.

فطأطأ رأسه ثم رفعه، وهو يقول: لا والله، أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه، فقال: السلام عليكم، فخرج شاب، فقال علي عليه السلام: يا عبد الله اتق الله؛ فإنك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك؟ والله، لأحرقنها لكلامك! فقال أمير المؤمنين: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟! قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين، فسقط الرجل في يديه، فقال: يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي؛ فو الله، لأكونن لها أرضا تطؤني، فأغمد علي سيفه، وقال: يا أمة الله، ادخلي منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا»[1].

جارية تبكي

وروي: أن أمير المؤمنين عليه السلام مر بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي، فقال: «يا جارية، ما يبكيك؟». فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله، قال: «يا عبد الله، إنها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها، وخذ التمر». فقام إليه الرجل فلكزه[2]، فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فربا

---

(١) المناقب: ج٢ ص١٠٦ في المسابقة بالتواضع...

(٢) اللكز: الضرب بالجمع على الصدر، يقال: لكزه لكزاً من باب قتل: ضربه بجمع كفه في صدره، ويقال: اللكز الضرب بجميع الجسد. مجمع البحرين: ج٤ ص٣٣ مادة «لكز».

الرجل واصفر، وأخذ التمر ورد إليها درهمها، ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني، فقال: «ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك»[1].

نعم، هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضي حاجات الناس ويتفقد أمورهم الصغيرة والكبيرة. وبذلك تمكن من هداية الناس وجمعهم حوله، وأرسى دعائم الحكومة الإسلامية خلال ثلاث وعشرين سنة فقط، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام وسائر أهل البيت عليهم السلام.

على عكس من غصب الخلافة وبني أمية وبني العباس والعثمانيين وحكام بلاد الإسلام وعملاء الاستعمار.

واليوم حيث ترك القائمون بالحركة الإسلامية الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لم يصلوا إلى أي شيء خلال نصف قرن، وسوف لايصلون، إلا إذا رجعوا إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خدمة الناس وقضاء حوائجهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[2].

بيت القفص

جعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وسط الكوفة بيتاً في أيام خلافته سماه (بيت القفص)، حتى إذا كان لإنسان حاجة واستحى من أن

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص٤٨ ب١٠٤ ح١.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

يواجهه بها، كتب ما يحتاجه وألقاه في ذلك المكان. والكلّ يعلم أن علي (صلوات الله عليه) كان في متناول كل الناس وبينهم. وكما يقول أحد تلاميذ الإمام عليه السلام: كان فينا كأحدنا[1] يدور في أسواق المسلمين ويقضي في المسجد بينهم، ويعطي حاجاتهم ويخطب لهم ويصلي بهم، ومع ذلك قد صنع ذلك البيت في وسط الكوفة، حتى إذا عجز إنسان من الوصول إلى الإمام أو استحى من مواجهته، كان يكتب حاجته في ورقة ويقذف بتلك الورقة في بيت القفص، ثم كان الإمام عليه السلام يأتي إلى ذلك البيت ويفتح بابه المقفل، ويأخذ الأوراق ويطلع على الحاجات، ثم يقضيها.

صف لي عليا

قال معاوية لضرار بن ضمرة: صف لي علياً عليه السلام؟

قال: اعفني، قال: لتصفنه.

قال: أما إذ لابد، فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، مجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل

---

(١) كشف الغمة: ج١ ص٧٧ باب ذكر صفته عليه السلام.

الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله، فأشهد، لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، وهو اللذيع، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: «يا دنيا غري غيري، أ بي تعرضت أم إلي تشوقت، هيهات هيهات، قد بينتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك كبير، وعيشك حقير، آه من قلة الزاد للسفر ووحشة الطريق». فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن! كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار، قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها، فهي لا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها [1].

مع الأرامل والأيتام

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام اجتاز ليلة على امرأة مسكينة لها أطفال صغار يبكون من الجوع، وهي تشاغلهم وتلهيهم حتى يناموا، وكانت قد أشعلت ناراً تحت قدر فيها ماء لا غير، وأوهمتهم أن فيها طعاما تطبخه لهم..

فعرف أمير المؤمنين عليه السلام حالها، فمشى ومعه قنبر إلى منزله، فأخرج قوصرة تمر وجراب دقيق وشيئا من الشحم والأرز والخبز، وحمله على كتفه الشريف، فطلب قنبر حمله، فلم يفعل، فلما وصل إلى باب المرأة استأذن عليها، فأذنت له في الدخول، فرمى شيئا من الأرز في القدر

---

(١) كشف الغمة: ج١ ص٧٧ صفته عليه السلام.

ومعه شيء من الشحم، فلما فرغ من نضجه غرف للصغار وأمرهم بأكله، فلما شبعوا أخذ يطوف في البيت، ويبعبع لهم فأخذوا في الضحك..

فلما خرج عليه السلام قال له قنبر: يا مولاي، رأيت الليلة شيئا عجيباً، قد علمت سبب بعضه، وهو حملك الزاد طلبا للثواب، أما طوافك في البيت على يديك ورجليك والبعبعة، فما أدري سبب ذلك؟!

فقال عليه السلام: «يا قنبر، إني دخلت على هؤلاء الأطفال، وهم يبكون من شدة الجوع، فأحببت أن أخرج عنهم وهم يضحكون مع الشبع، فلم أجد سببا سوى ما فعلت»[1].

مع الرجل الأعمى

ويُروى أن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام حينما عادا من دفن أبيهما عليه السلام سمعا ـ وهم في الطريق ـ من خربة صوت أنين وبكاء، وعندما اقتربا من ذلك الصوت وجداه فقيراً طاعناً في السن، وهو مريض يئن ويبكي ويقول: (أين راح عني ذلك الشخص الذي كان يأتيني بكل ما أحتاج إليه كل ليلة، فإنه منذ ثلاث ليالٍ فارقني ولم يأت إليّ) في هذه الأثناء قرب منه الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وقالا له: «يا شيخ، إن ذلك الشخص الذي أنت تعنيه هو أبونا علي بن أبي

(١) كشف اليقين: ص١١٥ ف٣ ب١ المبحث الثامن.

طالب عليه السلام وقد رجعنا الآن من دفنه»[1].

نعم، إن أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته والتي كانت تشمل مساحة شاسعة من الأرض، تقوم عليها الآن أكثر من خمسين دولة[2]، كان

---

(١) الأنوار العلوية: ص٣٩١. وفيه: لما رجع الحسن والحسين عليهما السلام من دفن أمير المؤمنين عليه السلام وجدا في طريقهما رجلاً شيخاً أعمى مريضاً وهو يبكي، فتقدم إليه الحسن عليه السلام وقال له: « ما يبكيك ياشيخ؟»، فقال: كان رجل كل يوم يأتيني باللبن والدقيق، وله ثلاثة أيام قد انقطع عني ولا يأتيني؟! فقال له الحسن عليه السلام: « ومن ذلك الرجل؟»، فقال: لا أعرفه. فقال: «صفه لي؟ »، فقال: لم وجهه حتى أصفه لك، إلا إنه كان لي كالأم الشفيقة بولدها، كان يكلمني برفق، ويمرضني بشفقة، ويؤنسني ويضاحكني، ثم ينصرف عني، فقال له الحسن عليه السلام: « هذه صفة أبينا أمير المؤمنين عليه السلام، فعظم الله لك الأجر فيه، فقد قضى نحبه شهيداً والآن رجعها من دفنه»، فصرخ الشيخ صرخة فارقت روحه الدنيا..

(٢) اتسعت حدود الدولة الإسلامية فأصبحت مترامية الأطراف، ففي ظل حكومة أمير المؤمنين عليه السلام كانت الدولة الإسلامية كبيرة وواسعة على جميع الأطراف، وكان امتدادها من شبه الجزيرة العربية إلى العراق والشام وشمال أفريقيا إلى بلاد إيران الواسعة وبلاد السند، وقد أشار ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) إلى هذا الامتداد فقال: وفرق علي عليه السلام عماله على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة، وعبيد الله بن العباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام. الكامل في التاريخ: ج٣ ص٢٠١ ذكر أحداث سنة ٣٦ للهجرة. وقال في موضع آخر: وتوجه الحارث بن مرة العبدي إلى بلاد السند غازياً متطوعاً بأمر أمير المؤمنين عليه السلام. وقال أيضاً في ذكر أحداث سنة ٣٩ للهجرة: وفي هذه السنة ولى علي ←

يدير كل أمور البلاد بأفضل صورة عرفها البشر، وكان عليه السلام يلبي طلبات الناس واحتياجاتهم، فلم يبق في عهده مسكين ولا فقير، وكانت هذه الحالة ظاهرة لكل إنسان في زمانه، وهناك أحداث كانت أكثر وضوحاً وأهمية إلاّ إن التاريخ لم يشر إليها، أو لم تصل إلينا، بسبب التضليل وزرع الشبهات والشكوك وبظلم من أعداء أهل البيت عليهم السلام وأعداء الإنسانية ومن قبل تلك الأيدي غير الأمينة التي حاولت طمس معالم هذا الدين الحنيف وإبعاد الناس عن أئمتهم أئمة الحق عليهم السلام[1].

ونحن بحمد الله من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام كما نعتقد بذلك ونؤمن ونقول ذلك باللسان والبيان، فمن الواجب علينا أن نكون من شيعته في أعمالنا أيضاً، فنصبح نموذجاً وقدوة لسائر الناس، من خلال السير على هدى أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وأن نكون للناس المعين والنصير كلّ بقدر طاقاته وإمكاناته. كما كان يفعل أئمتنا أئمة الهدى (صلوات الله عليهم أجمعين) وبذلك اهتدنا الكثير من الناس إلى الصراط المستقيم.

→

عليه السلام زياداً كرمان وفارس. الكامل في التاريخ: ج٣ ص٣٨١ ذكر أحداث سنة ٣٩ للهجرة.

(١) للتفصيل ينظر كتاب: (السياسة من واقع الإسلام) لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي(دام ظله).

الرسول ﷺ أسوة في الهداية

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد كان في رسول الله ﷺ كاف لك في الأسوة، ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها. وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله ﷺ حيث يقول: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (١) والله ما سأله إلاّ خبزاً يأكله، لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه. وإن شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وإن شئت قلت في عيسى ابن مريم عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء، مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه وخادمه يداه. فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ فإن فيه أسوةً لمن تأسى وعزاءً لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره، قضم

---

(١) سورة القصص: ٢٤.

الدنيا قضماً ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، عرضت عليه الدنيا، فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقر شيئاً فحقره، وصغر شيئاً فصغره، ولو لم يكن فينا إلاّ حبنا ما أبغض الله ورسوله، وتعظيمنا ما صغَّر الله ورسوله، لكفى به شقاقاً لله ومحادةً عن أمر الله، ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته، فتكون فيه التصاوير، فيقول: يا فلانة، لإحدى أزواجه، غيبيه عني، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده، ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها؛ إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله، أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال: أهانه، فقد كذب والله العظيم، بالإفك العظيم، وإن قال: أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره، حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه، فتأسى متأس بنبيه، واقتص أثره وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً ﷺ علماً للساعة، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة خرج من

الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه فما أعظم منة الله عندنا، حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه، والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى»[1].

إن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالرغم من تلك القدرة والثروة التي كانت تحت يديه كان يعيش في غرفة واحدة وحينما يريد السجود ـ لصلاة الليل ـ كان على زوجته أن تجمع رجليها حتى تترك للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مكاناً، يستطيع السجود عليه [2].

وهكذا استطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يهدي الناس إلى الصراط المستقيم حيث رأوا منه الوفاء والصدق، وعدم الانجرار في زخارف الدنيا.

نعم هذه هي المدرسة الإلهية وهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقيات أهل بيته عليهم السلام .. فمن امتلأ قلبه محبة وطاعة لهم، فليسر على نهجهم وخطاهم ليكون معهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٠ من خطبة له عليه السلام.

(٢) ورد عن عائشة قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتها والبيوت يومئذ ليس له مصابيح. انظر السنن الكبرى للنسائي: ج١ ص٩٨ ح١٥٦. وانظر كتاب السبعة من السلف للفيروز آبادي باب ما ورد في عائشة خاصة.

قائد ثورة العشرين

إن علماءنا الأبرار تأسوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام فتمكنوا من هداية الناس.

ورد في تاريخ قائد ثورة العشرين الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره[1] أنه التفت حوله الجماهير بصورة واسعة، من شيوخ وأفراد

---

(١) هو الشيخ محمد تقي ابن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية ثورة العشرين، ولد بشيراز عام (١٢٥٦هـ) ونشأ في كربلاء المقدسة، فقرأ فيها الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، ثم هاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل تعين للمرجعية العليا بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى الخطيرة التي أقامت العراق وأقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس. وهذا نص الفتوى: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم). فهو رحمه الله فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده وكان قد أفتى من قبل بحرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرون إلا عن رأيه، وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء المقدسة. توفي رحمه الله في الثالث عشر من ذي الحجة عام (١٣٣٨هـ) مسموماً ودفن في الصحن الحسيني الشريف ومقبرته فيه مشهورة. راجع طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر: ج١ ←

العشائر، كباراً وصغراً، سنة وشيعة، ضد بريطانيا، وكان الازدحام كبيراً حول الميرزا، ورغم تصديه لأمور الثورة والمرحلة الحساسة في تاريخ العراق والأمة الإسلامية، لم يكن ينسى طلبته ورواد درسه، وكان يحاول دائماً أن لا يجعلهم يشعرون بأنه ـ ونتيجة لمسؤولياته الجسام ـ سوف لايجد الوقت الكافي لمداراتهم ومعرفة شؤونهم ومعالجة مشاكلهم التي كانت تعترضهم، فقال لهم مرة: أيها الطلبة، إني قبل الثورة كنت أتمكن من قضاء حوائجكم وألتقي بكم على انفراد، ولكنكم الآن ربما لا يمكنكم أن تصلوا إليّ للزحام الذي حولي، فإذا كانت لأحدكم حاجة فإني أخرج في كل يوم بعد صلاة الصبح إلى الشارع الممتد بامتداد النهر[1] في أطراف كربلاء، ليتمكن كل طالب علم، أو أي شخص آخر يريد لقائي على انفراد أن يأتي في ذلك الوقت..

وأضاف الراوي للقصة وهو أحد العلماء قائلاً: إني شخصياً ذهبت إليه مراراً وتكراراً عندما كانت عندي حاجة، وكنت أرى الإمام الشيرازي ﵀ يمشي وحده على ضفاف ذلك النهر في الشارع الممتد بامتداده، فأعرض عليه حاجتي وأطلب منه قضاءها، وكان يلبي بكل

→

ص٢٦١ الرقم ٥٦١.

(١) نهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات وهو النهر الذي يسقي كربلاء المقدسة.

رحابة صدر.

نعم، هكذا يلزم أن يكون القائد الإسلامي، أو المتصدي لإصلاح المجتمع، ذا روح جماهيرية، يحتوي قلبه كل الطبقات في الأمة. ويستوعب كل الآراء والتوجهات. هذا هو خط وسلوك ومنهج أهل البيت عليهم السلام فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو صاحب أكبر دولة عالمية آنذاك، كان يمشي في الأسواق ويتفقد أحوال الناس، وكذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عليه السلام يوصي عماله وولاته بهذا الأمر، وعدم الظلم وعدم الاحتجاب عن الجماهير..

مع السيد بحر العلوم قدس سره

يذكر عن أحد طلاب[1] السيد بحر العلوم (أعلى الله مقامه) [2] أنه قال:

---

(١) ذكرت هذه القصة في كتاب الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي رحمه الله وطالب السيد هو: العالم الجليل السيد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة). الكنى والألقاب: ج٢ ص٦٧ ضمن ترجمة (بحر العلوم).

(٢) هو السيد مهدي ابن السيد مرتضى ابن السيد محمد الحسيني البروجوردي الطباطبائي، ولد في كربلاء المقدسة سنة (١١٥٥هـ)، وكان سيد علماء الأعلام ومولى فضلاء الإسلام، قد أذعن له جميع علماء عصره ومن تأخر عنه بعلو المقام والرئاسة النقلية والعقلية وسائر الكمالات النفسانية. وأصبح إمام أهل العراق وسيد الفضلاء على الإطلاق إليه يفزع علماؤها، ومنه يأخذ عظماؤها، وهو كعبتها التي تطوي إليها المراحل مع كرامات باهرة ومآثر وآيات ظاهرة، وقد ذاع وشاع وملأ الأسماع. وهو الإمام الذي لم يسمع بمثله الأيام، إن تكلم في المعقول قلت: هذا الرئيس فمن بسقراط وأفلاطون أرسطاطاليس، وإن باحث في المنقول قلت: هذا ←

كان يتعشى ليلة إذ طرق الباب عليه طارق، فعرف أنه خادم السيد بحر

→

العلامة المحقق لفنون الفروع والأصول، لم يناظر في الكلام أحداً إلا قلت هذا والله عالم الهدى، وإذا فسر الكتاب المجيد وأصغيت إليه ذهلت وخلت كأنه الذي أنزل الله عليه. كان ينظم الشعر كثيراً ويجاري الشعراء في محاضراتهم.

أما لقبه بحر العلوم فقد لقبه إياه الشهيد الميرزا الخراساني، وبقي هذا اللقب ملازماً له ولعائلته. وبلغ من شدة ورعه وتقواه وسمو أخلاقه وحبه للإصلاح تقسيم الوظائف الدينية على علماء عصره، فكان يرشد على تقليد الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ويأمر بالصلاة خلف الشيخ حسين نجف، ويأمر بالمرافعة إلى الشيخ شريف محي الدين ويأمر صاحب مفتاح الكرامة بالتأليف. وقال بعض أهل العصر: أما وفور تبحره وتوسع علمه وأحاطته بالفنون وحقائقها وتوغلها في تنقير أعماق المطالب وكشف وقائعها فشيء يبهر العقول كما هو ظاهر لمن راجع مصابيحه في الفقه. ثم إنه استخرج من علم الرجال فوائد متنكرة ذهل عنها القدماء واتبعه فيها المتأخرون. من أبرز مشايخه الشيخ يوسف البحراني، والشيخ الوحيد البهبهاني، والشيخ مهدي الفتوني العاملي، والشيخ محمد تقي الدورقي. وأما تلاميذه فجملة من العلماء الكبار أمثال: الشيخ جعفر كاشف الغطاء المعروف بالشيخ الأكبر، والسيد جواد صاحب (مفتاح الكرامة)، والشيخ عبد الغني القزويني صاحب ذيل (أمل الآمل). وأما مؤلفاته فكثيرة منها: المصابيح في الفقه، والفوائد في الأصول، ومشكاة الهداية، وكتابه في الرجال المعروف بكتاب (رجال بحر العلوم)، ورسالة النظر في حكم قاصد الأربعة في السفر، وكتاب القضاء، وأرجوزته الشعرية المعروفة بالدرة النجفية وغيرها. توفي رحمه الله في النجف الأشرف سنة (١٢١٢هـ)، ودفن قريباً من قبر الشيخ الطوسي وهو مشهور. انظر روضات الجنات: ج٧ ص٢٠٣ بالرقم ٦٢٥. وأعيان الشيعة: ج١٠ ص١٥٨ ترجمة السيد مهدي بحر العلوم.

العلوم، فقام إلى الباب مسرعاً فقال له: إن السيد قد وضع بين يديه عشاءه وهو ينتظرك، فأسرع إلى جناب السيد ﷺ فلما لاح له السيد قال له السيد: أما تخاف الله؟ أما تراقبه؟ أما تستحي منه؟ فقال: ما الذي حدث؟ فقال له[1]: إن رجلا من اخوانك كان يأخذ من البقال قرضا لعياله كل يوم وليلة قسبا (التمر الزهدي)، ليس يجد غير ذلك، فلهم سبعة أيام لم يذوقوا الحنطة والأرز، ولا أكلوا غير القسب، وفي هذا اليوم ذهب ليأخذ قسباً لعشائهم فقال له البقال: بلغ دَينك كذا وكذا، فاستحيى من البقال ولم يأخذ منه شيئا، وقد بات هو وعياله بغير عشاء، وأنت تتنعم وتأكل، وهو ممن يصل إلى دارك وتعرفه وهو فلان.

فقال: والله مالي علم بحاله.

فقال السيد: لو علمت بحاله وتعشيت، ولم تلتفت إليه لكنت في حكم الكفار، وإنما أغضبني عليك عدم تحسسك عن إخوانك، وعدم علمك بأحوالهم، فخذ هذه الصينية يحملها لك خادمي يسلمها إليك عند باب داره، وقل له: قد أحببت أن أتعشى معك الليلة، وضع هذه الصرة تحت فراشه أو حصيره، وابق له الصينية فلا ترجعها، وكان كبيرة فيها عشاء، وعليها من اللحم والمطبوخ النفيس ما هو مأكل أهل

---

(١) يقول الشيخ عباس القمي ﷺ: أنا أتمثل في هذا المقام بقول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

التنعم والرفاهية. وقال السيد: اعلم أني لا أتعشى حتى ترجع إلي فتخبرني أنه قد تعشى وشبع، وأخذ السيد بحر العلوم يردد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»[1].

فذهب ذلك الطالب ومعه الخادم، حتى وصلوا إلى دار المؤمن، فأخذ من يد الخادم ما حمله ورجع الخادم، وطرق الباب وخرج الرجل، فقال له السيد: أحببت أن أتعشى معك الليلة، فلما أكلا[2]، قال له المؤمن: ليس هذا زادك؛ لأنه مطبوخ نفيس لا يصلحه العرب، ولا نأكله حتى تخبرني بأمره، فأصر عليه السيد جواد بالأكل وأصر هو بالامتناع، فذكر له القصة فقال: والله، ما اطلع عليه أحد من جيرتنا فضلا عمن بعد، وإن أمر هذا السيد لشيء عجيب!!

نعم، علماؤنا (رضوان الله تعالى عليهم) هكذا كانوا ينبهون الطلبة باستمرار على تلك الأخلاق الرفيعة، التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) لتكون لهم الميزان الأكمل في تعاملهم مع الناس ويهتمون بأمور الناس وخدمتهم، وهذه بدورها تكسب المحبة والإخلاص في قلوب الناس أجمعين وتوجب هدايتهم إلى الصراط المستقيم.

عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا مفضل، اسمع

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٦٨ باب حق الجوار ح١٤.

(٢) أي: شرعا في الأكل.

ما أقول لك، واعلم أنه الحق وافعله، وأخبر به علية إخوانك»، قلت: جعلت فداك، وما علية إخواني؟

قال: «الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم». قال: ثم قال: «ومن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله عزوجل له يوم القيامة مائة ألف حاجةٍ من ذلك، أولها الجنة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة، بعد أن لا يكونوا نصاباً»، وكان المفضل إذا سأل الحاجة أخاً من إخوانه، قال له: أما تشتهي أن تكون من علية الإخوان[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله عزوجل خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن» ثم قال: «لنا والله رب نعبده لا نشرك به شيئاً»[2].

وعن إسماعيل بن عمار الصيرفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، المؤمن رحمةٌ على المؤمن؟ قال: «نعم»، قلت: وكيف ذاك؟

قال: «أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة، فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها، فإنما رد عن نفسه رحمةً من الله

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٩٢ باب قضاء حاجة المؤمن ح١.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٩٣ باب قضاء حاجة المؤمن ح٢.

جل وعز ساقها إليه وسببها له، وذخر الله عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه، وإن شاء صرفها إلى غيره. يا إسماعيل، فإذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة من الله قد شرعت له، فإلى من ترى يصرفها؟».

قلت: لا أظن يصرفها عن نفسه.

قال: «لا تظن، ولكن استيقن، فإنه لن يردها عن نفسه. يا إسماعيل، من أتاه أخوه في حاجةٍ يقدر على قضائها فلم يقضها له، سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذباً»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «تنافسوا في المعروف لإخوانكم، وكونوا من أهله، فإن للجنة باباً يقال له: المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، وإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين: واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، يستغفران له ربه، يدعوان له بقضاء حاجته» ثم قال: «والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسر بحاجة المؤمن، إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة»[2].

وعن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «والله، لأن أحج حجةً أحب إلي من أن

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٩٣ باب قضاء حاجة المؤمن ح٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٥٩ ب٢٥ ح٢١٧٥٨.

أعتق رقبةً ورقبةً ورقبةً، ومثلها ومثلها ـ حتى بلغ عشراً ـ ومثلها ومثلها ـ حتى بلغ السبعين ـ ولأن أعول أهل بيتٍ من المسلمين، أسد جوعتهم وأكسو عورتهم، وأكف وجوههم عن الناس، أحب إلي من أن أحج حجةً وحجةً وحجةً ومثلها ومثلها ـ حتى بلغ عشراً ـ ومثلها ومثلها» حتى بلغ السبعين[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال الله عزوجل: الخلق عيالي، فأحبهم إلي ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم»[2].

وعن أبي عمارة قال: إنا روينا: أن عابد بني إسرائيل كان إذا بلغ الغاية في العبادة صار مشاءً في حوائج الناس، عانياً بما يصلحهم»[3].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إن لله خلصاء من خلقه، عبدوه بخالصٍ من سره، وأوصلهم إلى سره، فهم الذين تمر صحفهم مع الملائكة فرغاً، فإذا وصلت إليه ملأها من سر ما أسروا إليه، وقال لهم: يا أوليائي، إن أتاكم عليلٌ من ضعفة عبادي فداووه، أو ناسٍ نعمتي فأذكروه، أو راحلٌ نحوي فجهزوه، ومن بعد منكم منكِراً ففقهوه، ومن قرب منكم فواصلوه، لكم يا أوليائي خاطبت ولكم عاتبت والوفاء منكم طلبت، لا أستحب منكم استخدام الجبارين، ولا مصافاة

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٢٩ ب٢٠ ح١٠٠.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٩٩ باب السعي في حاجة المؤمن.. ح١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٦٧ ب٢٧ ح٢١٧٨٢.

المتلونين، ومن عاداكم قصمته، ومن أبغضكم قليته»[1].

إذاً، يلزم على كل فرد منا أن يكون خادماً واقعياً للناس، ينزل إلى ساحة العمل، إلى الميدان، لا أن يخدم الناس بالشعارات والمظاهر من دون عمل، ولا يتم ذلك طبعاً إلا إذا أصبح الفرد إنساناً بكل ما للكلمة من معنى، وسار صوب القيم الإنسانية ومعانيها السامية، وبذلك يمكن السعي لهداية الناس نحو الخير والفضيلة والتقوى والبر.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لذلك إنه قريب مجيب.

«يا من ذكره شرفٌ للذاكرين، ويا من شكره فوز للشاكرين، ويا من طاعته نجاة للمطيعين، صل على محمد وآله، وأشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر، وألسنتنا بشكرك عن كل شكر، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة، فإن قدرت لنا فراغاً من شغل فاجعله فراغ سلامة، لا تدركنا فيه تبعة، ولا تلحقنا فيه سأمةٌ، حتى ينصرف عنا كُتّاب السيئات بصحيفة خالية من ذكر سيئاتنا، ويتولى كُتّاب الحسنات عنا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا»[2].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٠٥ ب٢٥ ح١٤٤٣٤.

(٢) الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام بخواتم الخير.

من هدي القرآن الحكيم

فعل الخيرات وقضاء الحوائج

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۞ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۞ وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ (٣).

وقال جل وعلا: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (٤).

---

(١) سورة المؤمنون: ٦٠ـ ٦٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٣) سورة الزلزلة: ٦ـ ٧.

(٤) سورة النساء: ١١٤.

العبودية لله وحده تعالى

قال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ (٢).

وقال جل وعلا: ﴿وَجَعَلُوا للهِ أَنْداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿حُنَفاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ﴾ (٤).

الهداية بالإمامة الحقة

قال تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ (٥).

وقال عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ

---

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

(٢) سورة الإخلاص: ١.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٠.

(٤) سورة الحج: ٣١.

(٥) سورة المائدة: ٥٥.

الْكافِرِينَ﴾ [1].

وقال جل وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ [2].

العمل مع التقوى

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ﴾ [3].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [4].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [5].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [6].

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) سورة التوبة: ١٠٩.

(٤) سورة النساء: ١٢٤.

(٥) سورة المائدة: ٢٧.

(٦) سورة البقرة: ١٩٧.

من هدي السنة المطهرة

الخدمة وقضاء الحوائج

قال رسول الله ﷺ: «أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة»[1].

وقال ﷺ: «من أعان مؤمناً نفّس الله عز وجل عنه ثلاثاً وسبعين كربة، واحدة في الدنيا، وثنتين وسبعين كربة عند كربه العظمى. ـ قال: ـ حيث يتشاغل الناس بأنفسهم»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك ولا أرضى لك بدون الجنة»[3].

العبودية لله وحده تعالى

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه»[4].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٨٠ ب٣٤ ح٢١٨١٤.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٩٩ باب تفريج كرب المؤمن ح٢.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٩٤ باب قضاء حاجة المؤمن ح٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٩ ق٢ ب٢ ف١٠ ح٣٩٤٥.

وقال عليه السلام: «أما بعد فإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق، ليخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته، ومن عهود عباده إلى عهوده، ومن طاعة عباده إلى طاعته، ومن ولاية عباده إلى ولايته..»[1].

وقال عليه السلام: «ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب، ووقف على الموعود، إيماناً نفى إخلاصه الشرك، ويقينه الشك، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله، شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزان توضعان فيه، ويثقل ميزان ترفعان عنه..»[2].

العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «..وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»[3]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الفقهاء أمناء الرسول»[4].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده محمد: «تفقه في الدين، فإن

---

(١) الكافي: ج٨ ص٣٨٦ من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ح٥٨٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١١٤ من خطبة له عليه السلام وفيها مواعظ للناس.

(٣) الكافي: ج١ ص٣٤ باب ثواب العالم والمتعلم ح١.

(٤) بحار الأنوار: ج١ ص٢١٦ ب٦ ح٣١.

الفقهاء ورثة الأنبياء»[1].

الهداية بالإمامة الحقة

قال رسول الله ﷺ: «إن أئمتكم قادتكم إلى الله، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم»[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [3] فقال عليه السلام: «رسول الله المنذر، ولكل زمان منا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبي الله ﷺ، ثم الهداة من بعده عليّ، ثم الأوصياء واحد بعد واحد»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «إن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون في دينكم وصلواتكم»[5].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لـه نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس﴾ [6] فقال: «ميت لا يعرف شيئاً، و: ﴿نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس﴾ إماماً يؤتم به، ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي

---

(١) غوالي اللآلي: ج٤ ص٦٠ ح٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٦ ص٤٦٢ ب٩ ح٧٢٤٧.

(٣) سورة الرعد: ٧.

(٤) الكافي: ج١ ص١٩١ باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة ح٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج٨ ص٣٤٧ ب٢٦ ح١٠٨٦٩.

(٦) سورة الأنعام: ١٢٢.

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1] قال: الذي لا يعرف الإمام»[2].

العمل مع التقوى

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماماً منك بالعمل، فإنه لا يقل عمل بالتقوى وكيف يقل عمل يتقبل، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[3]»[4].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا بهما: التقى والإخلاص»[5].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى..»[6].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد»[7].

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) الكافي: ج١ ص١٨٥ باب معرفة الإمام عليه السلام والرد إليه ح١٣.

(٣) سورة المائدة: ٢٧.

(٤) مكارم الأخلاق: ص٤٦٨ ب١٢ ف٥ من وصاياه لأبي ذر (رضي الله عنه).

(٥) غرر الحكم: ص١٥٧ق١ ب٦ ف٤ ح٢٩١٤.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٤١ ب٢٠ ح٢٠٣٨٤.

(٧) وسائل الشيعة: ج١ ص٨٥ ب٢٠ ح١٩٨.

الفهرس

كلمة الناشر ٣
من أهم الواجبات ٦
الهداية عبر الأدعية ١٤
الهداية التكوينية والتشريعية ١٦
الهداية والتذكير بالآخرة ١٨
القيادة الربانية ٢٠
العلماء ومسؤولية الهداية ٢٢
خدمة الناس وطرقها ٢٤
داروين وتضليل الناس ٢٥
فرويد ٣٠
ماركس ٣٣
القومية باطلة ٣٧
ما الحل لتلك المشاكل؟ ٤٢
قضاء حوائج الناس ٥٦
قضاء حاجة الجارية ٦٦
امرأة تشكي زوجها ٦٧
جارية تبكي ٦٨
بيت القفص ٦٩
مع الأرامل والأيتام ٧١
مع الرجل الأعمى ٧٢
الرسول صلى الله عليه وآله أسوة في الهداية ٧٥
قائد ثورة العشرين ٧٨
مع السيد بحر العلوم قدس سره ٨٠
من هدي القرآن الحكيم ٨٨
من هدي السنة المطهرة ٩١